سلسلة الدعوة والدعاة

الدروس والمواعظ
من حياة
عمر بن عبد العزيز

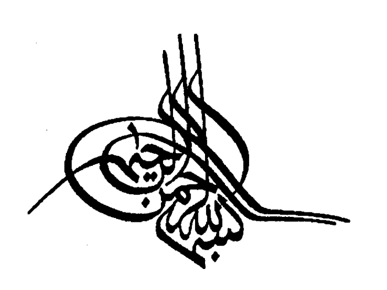
المؤلف

محمد عبده

مكتبة الإيمان - المنصورة

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢





المقدمة

المقدمة

الحمد لله أملى ورجائى ، الحمد لله حبى وعزائى ، الحمد لله حلمى ويقينى ، الحمد لله عزى ونصيرى إلهى :

يا واحدًا صمدًا بغير قرين ... ارحم ضراعة عبدك المسكين
واعطف على إذا وقفت مروعًا ... حيران بين يديك يوم الدين
يا حسرتى بين العباد إذا همو ... خافوا الحساب فخف عنهم دونى
ما حيلتى عند الحساب وهو له ... إذا قصرت بى قوتى ويقينى ؟!
ما حيلتى فى نشر صحيفتى ... إذا قيل لى: خذها بغير يمين؟
لا حيلة عندى ولا موئل ... إن خاننى طمعى وحسن ظنونى
يا رب لا تترك عبدك هالكًا ... وارحم بفضلك عبرتى وشئونى

والصلاة والسلام على حبيب الأمة ، وكاشف الغمة ، وتاج الهدى، ونور التقى ، محمد ﷺ ، سيد الخلق ، وناشر الأخلاق .

ألا أكرم بأحمدَ ذى الأيادى ... شفيع الناس فى يوم التنادى
إذا نُشِرَ الخلائق من قبور ... عراة يبتغون ندا المناد

فاللهم اجعل حبيبك المصطفى ﷺ شفيعًا لنا يوم الدين .

ثم أم بعد . .

فقد أنعم على المولى عزّ وجلّ بإتمام الدروس والمواعظ من حياة

الصديق ثم الفاروق ثم الإمام على بن أبى طالب وعثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم جميعًا ـ ولقد رأيت أن أشرع فى كتابة الدروس والمواعظ من حياة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لعدة أسباب .

السبب الأول : أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز اعتبره الكثير من أهل الدعوة والاجتهاد خامس الخلفاء الراشدين .

السبب الثانى : هذا الإمام لم يترك ميدانًا من ميادين الخير إلا وفتح بابه فهو زاهد قانع راشد جامع لمكارم الأخلاق ، وسيسأل الجميع: «وما معنى كلمة جامع «لمكارم الأخلاق » ؟.

وأرد قائلاً جامع لمكارم الأخلاق أى طبق كل ما قاله الإمام على بن أبى طالب .

إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ ... فالعقلُ : أولُها والدين ثانيها
والعلمُ ثالثها والحلمُ: رابعها ... والجود: خامسُها. والعرف: ساديها
والبر: سابعها. والصبر: ثامنها ... والشكر: تاسعها. واللين: عاشيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
والعينُ تعلم فى عينى محدثها ... من كان من حربها أو من أعاديها
عيناك قد دلتا عينى منك على ... أشياء لولاهما ما كنت تبديها

هذه هى مكارم الأخلاق وما رأيت شيئا ينقص الإمام من هذه المكارم وهذا ليس برأى وحدى ولكنه رأى أهل العلم الأفاضل.

لذا رأيت أنه يجب أن نسير سويا لنتعرف على هذا العملاق من

خلال كتابنا الدروس والمواعظ من حياة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

السبب الثالث : مذهبه فى الحياة .

هذه السلسلة التى أكتبها أرجو بها من المولى عزَّ وجلَّ النفع لى وللدعاة بل ولأمة الإسلام. وعندما قرأت مذهب هذا الإمام رأيت أنه من الواجب عَلَىَّ ذكر حياته العظيمة وما بها من دروس ومواعظ عسى أن ينتشلنا هذا الكتاب المتواضع مما نجد فيه من ضياع وحب شديد لدنيا فانية رغم أنوفنا وأنفها ، أكتب هذا الكتاب عسى أن أنتشل نفسى قبل أن انتشلكم من ضياع محقق هذا الضياع هو مذهبنا فى الدنيا حيث أصبحنا نتصارع فيها وكأنها الملاذ وكأنها زهرة الحياة وكأنها المقر والمستودع وإن أصِبْنَا فيها كانت مصيبتنا كبيرة ونسينا بل واردنا أن نتناسى أن أكبر مصيبة هى المصيبة التى تكون فى الدين .

لذا رأيت أن نقرأ سويا مذهب الإمام وندرسه حتى ننعم بالعافية فى الدين والدنيا والآخرة ومذهب الإمام يلخصه لنا الإمام فى أحد مواعظه لابنه عبد العزيز فقد كان يقول له دائما : « إذا كنت من الدنيا فيما يسوءك فاذكر الموت فإنه يسهله عليك » ما أجمله من مذهب ولكن مَنْ مِنَّا من يقرأ فيعمل.

من أجل هذه الثلاثة أسباب رأيت أن أشرع فى كتابه الدروس والمواعظ من حياة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز راجيا من الله النفع والثواب لى ولكم اللهم آمين آمين .

المؤلف

محمد عبده

الفصل الأول
العقل والتعريف بالإمام

* تعريف العقل عند العلامة ابن منظور.
* فضل العقل .
* تعريف الإمام عند العلامة السيوطى.
- عندما يرعى الذئب الغنم.
* تعريف الإمام عند العلامة ابن كثير .
- أعجب ممن عرف الله فعصاه.
- أنا ميت وعز من لا يموت.
* تعريفه عند الإمام النبهانى.
* تعريفه عند العلامة ابن الجوزى.
- يا رجاء. - اتق الله ولا تقل إلا حقا.
- عدل السلطان مقدم على شهواته.
- نجيب وتبسم.
* تعريفه عند العلامة الطبرى.
- قوام الدين العدل والإحسان.
* وأخيرًا تعريفه عند العلامة أبى نعيم.
- البشارة بخلافته. - هذا هو عمر .
* الإفادة:
- الأمر الأول: فضل العدل.
- الأمر الثانى: حظ الإنسان من العدل.

الفصل الأول
العقل وتعريف الإمام

العقـل:

يقول العلامة ابن منظور فى كتابه الشهير لسان العرب: عقل: العَقْلُ : الحِجْر والنُّبى ضِدُّ الحُمق ، والجمع عُقول.

وفى حديث عمرو بن العاص : تلك عُقولٌ كادها بارِئها ، أى أرادها بسوءُ ، عَقَل يَعقِل عقلا ومعقولاً ، وهو مصدر .

قال سيبويه : هو صفة ، وكان يقول: إن المصدر لا يأتى على وزن مفعول البتة ، ويتناول المعقول فيقول : كأنه عُقِل له شىءٌ أى حبس عليه عَقْلُهُ وأيد وشُدد قال: ويستغني بهذا عن المفعل الذى يكون مصدرا، وأنشد ابن برى:

فقد أفادت لهم حِلمًا وموعِظةً :

لمن يكُون له إربٌ ومعقول

وعَقل ، فهو عاقِلٌ وعَقُولٌ من قوم عقلاء ، ابن الأنبارى : رجل عاقِلٌ وهو الجامع لأمره ورأيه ، مأخوذ من عَقَلتُ البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل : العاقِلُ الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخِذَ من قولهم: قد اعتقل لسانه إذا حُبِسَ ومنع الكلام .

والمعقول: ما تعقله بقلبك. والمعقول: العَقْلُ، يقال: مالَهُ مَعقُولٌ أى عَقْلٌ ، وهو أحد المصادر التى جاءت على معقول كالميسور والمعسور . وعاقلهُ فعقله يعقله ، بالضم : كان أعقله منه .

والعَقْلُ : التَّثَبْت فى الأمور : والعَقْلُ : القلب ، والقلب العقل ، وسَمَّى العَقْلُ عقلاَ لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك أى يحبسه، وقيل: العقلُ هو التميز الذى به يتميز الإنسان من سائر الحيوان.

ويقال: لفلان قلب عقول ، ولسان سؤول .

وقلبٌ عقُولٌ فَهِمٌ ، وعَقَلَ الشيء يعقِلُه عقلاً: فهمه .

ويقال: أعقَلْتُ فلانًا. أى: ألقيته عاقِلاً وعَقَّلْتُه أى صيرته عاقِلاً وتَعَقَّلِ: تكلَّف العقل كما يقال: تعلم وتكيس ، وتعاقل : أظهر أنه عامِلٌ فَهِمٌ وليس بذاك . وفى حديث الزبرِقان: أحَبٌ صبياننا إلينا الأبلهُ العقول، قال ابن الأثير : هو الذى يُظَنُّ به الحمقُ فإذا افش وجد عاقلا، والعقول فعولٌ منه للمبالغة (١) .

هذا هو تعريف العقل عند العلامة ابن منظور. وقبل أن نخوض فى تعريف الإمام عمر بن عبد العزيز اسمحوا لى أن نقرأ سويا ما كتبه العلامة الماوردى فى شأن العقل ، وجاء ما كتبه فى كتاب أدب الدنيا والدين وكان نصه.

(١) تعريف العقل من كتاب لسان العرب للعلامة ابن منظور : ٤/ ٨٤٥.

فضل العقل :

اعلم أن لكل فضيلة أسًا ولكل أدب ينبوعًا وأس الفضائل وينبوع الأداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلاً وللدنيا عمادًا ، فأوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين :

قسمًا وجب بالعقل فأكده الشرع ! وقسمًا جاز فى العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عمادًا.

ورُوى عن النبى ﷺ أنه قال: ما اكتسب المرؤ مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى، أو يرده عن ردىء وروى عن النبى ﷺ ، أنه قال: لكل شىء عمل دعامة ودعامة عمل المرئ عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفجار: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه .

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ: ما استودع الله أحدًا عقلاً إلا استنقذه به يوما ما .

وقال بعض الحكماء: العقل : أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو.

وقال بعض الأدباء : صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله.

وقال بعض البلغاء: خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل ، وقال بعض الشعراء ، وهو إبراهيم بن حسان:

يزينُ الفتى فى الناس صحةُ عقلِه	وإن كان محظورًا عليه مكاسبُه
يشينُ الفتى قِلةُ عقلِه	وإن كرمت أعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل فى الناس إنه	على العقل يجرى علمه وتجاربه
وأفضل قسم الله للمرئ عقله	فليس من الأشيا شيءٌ يقاربه
إذا أكمل الرحمنُ للمرئ عقله	فقد كملت أخلاقُه ومآربُه

واعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات[٢] . وسيسأل الجميع الآن لِمَ بدأت هذا الكتاب بتعريف العقل وبيان فضله؟

والإجابة يسيره جدًا وهى: « إن من أهم مميزات الإمام عمر بن عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ رجاحة عقله فقد كان ـ رحمه الله ـ ذا عقل راجح فطن » ومن خلال ما سنذكره إن شاء الله سيتضح لنا ذلك قريبا فهيا بنا سويا نمضى لنتعرف على هذا الإمام .

تعريف الإمام عند العلامة السيوطي:

يقول العلامة السيوطى : هو عمر بن العزيز بن مروان ، الخليفة الصالح ، أبو حفص ، خامس الخلفاء الراشدين.

---

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردى : ٢٣ ـ ٢٤ .

قال سفيان الثورى : الخلفاء خمسة : أبو بكر، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز ، أخرجه أبو داود فى سننه.

وُلِدَ عمر بحلوان ، قرية بمصر ، وأبوه أمير عليها سنة إحدى وستين، وقيل: ثلاث وستين .

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان بوجه عمر شَجَّة ، ضربته دابة فى جبهته - وهو غلام - فجعل أبوه يمسح الدم عنه، ويقول: إن كنت أشج بنى أمية إنك لسعيد ، أخرجه ابن عساكر.

وكان عمر بن الخطاب يقول: «من ولدى رجل بوجهه شجَّة يملأ الأرض عدلاً أخرجه الترمذى فى تاريخه ، فصدَّقَ ظن أبيه فيه.

وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال: ليت شعرى ! من ذو الشين من ولدى الذى يملأها عدلاً كما مُلئت جورًا؟ .

وأخرج عن ابن عمر قال: كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر ، يعمل بمثل عمل عمر ، فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة، وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز.

جمع القرآن وهو صغير ، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدَّب بها ، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، فلما توفى أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة .

وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضًا ، إلا أنه كان يبالغ فى

التنعيم، فكان الذين يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط فى التنعيم والاختيال فى المشية، فلما ولى الوليد الخلافة أمَّرَ عمر على المدينة ، فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وعزل ، فقدم الشام.

ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد ، وأن يعهد إلى ولده فأطاعه كثير من الأشراف طوعًا وكرهًا ، فامتنع عمر بن عبد العزيز، وقال لسليمان : فى أعناقنا بيعة ، وصَمَّمَ ، فطين عليه الوليد ، ثم تُسفِعَ فيه بعد ثلاث ، فأدركوه ، وقد مالت عنقه ، فعرفها له سليمان ، فعهد إليه بالخلافة.

قال زيد بن أسلم عن أنس ﷺ : ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعنى عمر بن عبد العزيز - وهو أمير على المدينة . قال زيد بن أسلم : فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود ، له طرق عن أنس ، أخرجه البيهقى فى سننه وغيره .

وسئل محمد بن على بن الحسين بن عمر بن عمر بن عبد العزيز ، فقال: هو نجيب بنى أمية وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذه .

وأخرج أيضا عن أبى هشام أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز ،

فقال : رأيت النبى ﷺ فى النوم ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس، فقال لك يا عمر إذا عملت فأعمل بعمل هذين ، لأبى بكر، وعمر ، فاستحلف له عمر: بالله لرأيت هذا ، فحلف له ، فبكى عمر .

عندما يرعى الذئب الغنم :

جاء فى الأخبار الصحيحة ، بل وفى جميع كتب السيرة ، حكاية رعاية الذئب للغنم فى عهد عمر بن عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ، وسيعترض الجميع ويقولون ، وكيف يرعى الذئب الغنم ؟

والإجابة يسيره جدًا وهى « عدل الراعى وصلاح الرعية».

فعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان نعم الراعى قام ملكه بالحق ومُحِىَ فى عصره الظلمُ فأرسل الله الرحمة فى قلوب المفترس من الإنسان والحيوان فَقَلَّ معدل الجريمة، وزاد معدل الصلاح حتى بين الحيوان ، ولنقرأ سويًا ما كتبه العلامة السيوطى فى شأن هذا الرجل وإقباله على الآخرة وإعراضه عن الدنيا مما جعل الأرض فى عصره تَمتَلِىءُ نورًا ورحمة.

يقول العلامة السيوطى :

بويع بالخلافة بعهد من سليمان ، فى صفر سنة تسع وتسعين كما تقدم ، فمكن فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة الصديق رضي الله عنه ، ملأ فيها الأرض عدلاً ، وردَّ المظالم ، وسنَّ السنن الحسنة ، ولما قرئ كتاب

العهد باسمه عقِر وقال : والله إن هذا الأمر ما سألته الله قط ؟! وقدر إليه صاحب المراكب مركبَ الخليفة فأبى وقال: ائتونى ببغلتي ، قال الحكم بن عمر : شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها قال: ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فمن يريد ، واجعل أثمانها فى مال الله ، تكفينى بغلتى هذه الشهباء.

وقال عمر بن ذر : لما رجع عمر من جنازة سليمان قال له مولاه : مالي أراك متغما، قال: لمثل ما أنا فيه فليغتم ، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبهُ منى.

وعن عمرو بن مهاجر وغيره: أن عمر لما استخلف قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس !!

إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد ﷺ ، ألا وإنى لست بفارض ولكنى منفذ ، ولست بمبتدع ، ولكنى متبع ، ولست بخير من أحدكم ولكنى أثقلكم حملاً ، وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) .

وعن الزهرى قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يكتب إليه: بسيرة عمر بن الخطاب فى الصدقات ، فكتب إليه بالذى سأل ، وكتب إليه: إنك إن عملت بمثل عمل عمر فى زمانه ورجاله فى

مثال زمانك ورجالك كنت عند الله خيراً من عمر .

وعن حماد أن عمر لما استخلف بكى فقال: يا أبا فلان ، أتخشى علىّ؟

قال: كيف حبك للدرهم ؟

قال : لا أحبه .

قال: لا تخف فإن الله سيعينك .

وعن مغيرة جمع عمر حين استخلف بنى مروان فقال : إن رسول الله ﷺ كانت له فَدَكُ ينفق منها ويعُولُ منها على صغير بنى هاشم ويزوج منها أيمهم ، وأن فاطمة سألته أن يجعلها لها ؟ فأبى فكانت كذلك حياة أبى بكر،ثم عمر، ثم أقطعها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ، فرأيت أمرًا منعه رسول الله ﷺ فاطمة ليس لى بحق ؟ وإنى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله ﷺ.

وعن الليث قال: لما ولى عمر بدأ بلحمته وأهل بيته ، فأخذ ما بأيديهم ، وسمى أموالهم مظالم .

وقالت أسماء بن عبيد : دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر ابن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا فمنعتناها ولى عيال وضيعة ، أفتأذن لى أن أخرج إلى ضيعتى لما يصلح عيالى ؟

فقال عمر : أحبكم من كفانا مؤنته ، ثم قال له : أكثر ذكر الموت، فإن كنت فى ضيق من العيش وسَّعه عليك ، وإنت فى سَعَةَ من العيش ضيقه عليك .

وقال فرات بن السائب : قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ـ وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله ـ اختارى إما أن تردى حليك إلى بيت المال وإما أن تأذنى لى فى فراقك ، فإنى أكره أن أكون أنا وأنت وهو فى بيت واحد، قالت: لا بل أختارك عليه وعلى أضعافه ، فأمر به فحمل حتى وضع فى بيت مال المسلمين فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة : إن شئت رددته إليك ، قالت: لا والله ما أطيب به نفسا فى حياته وأرجع فيه بعد موته.

وقال عبد العزيز : كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا قد خربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرمها به فعل.

فكتب إليه عمر :

(إذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل ونَق طرقَهَا من الظلم فإنه مرمتها والسلام) .

وقال إبراهيم السكونى : قال عمر بن عبد العزيز : ما كذبت منذ علمت أن الكذب شَين على أهله .

وقال قيس بن جبير : مثل عمر فى بنى أمية مثل مؤمن آل فرعون.

وقال وهب بن منبه : إن كان فى هذه الأمة مهدى فهو عمر بن عبد

العزيز .

وقال محمد بن فضالة : مَرَّ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز براهب فى الجزيرة ، فنزل إليه الراهب ولم ينزل لأحد قبله ، وقال: أتدرى لم نزلت إليك ؟

قال: لا .

قال: لِحَقِّ أبيك ، إنا نجده في أئمة العدل بموضوع رجب من الأشهر الحرم ففسره أيوب بن سويد بثلاثة متوالية : ذى القعدة ، وذى الحجة ، والمحرم .

أبى بكر وعمر ، وعثمان ورجب منفرد منها عمر بن عبد العزيز .

وقال حسن القصاب : رأيت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقلت : سبحان الله ذئب فى غنم لا يضرها؟!

فقال الراعى : إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس .

وقال مالك بن دينار : لما ولى عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء: من هذا الصالح قام على الناس خليفة؟! عدله كَفَّ الذئاب عن شائنا.

فقال موسى بن أعين : كنا نرعى الشاء بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاة والذئب ترعى في مكانٍ واحد ، فبينا نحن

ذات ليلة إذ عرض الذئب للشاة، فقلت : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك؟، فحسبوه فوجدوه مات تلك الليلة .

وقال الوليد بن مسلم : بلغنا أن رجلاً كان بخراسان قال : أتانى آتٍ فى المنام، فقال : إذا قام أشج بنى مروان فانطلق فبايعه فإنه إمام عدل، فجعلت أسأل كلما قام خليفة ، حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأتانى ثلاث مرات فى المنام ، فارتحلت إليه فبايعته .

وقال ابن عون : لكن ابن سيرين إذا سئل عن الطلاء قال: نهى عنه إمام الهدى: يعنى عمر بن عبد العزيز .

وقال مالك بن دينار : الناس يقولون : مَالَكَ زَاهِدٌ ؟ ، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذى أتته الدنيا فتركها .

وقال يونس بن أبى شيب : شهدت عمر بن عبد العزيز وإن حُجْزَةَ إزاره لغائبه فى عُكنه ، ثم رأيته بعدما استخلف ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت «يقصد أن كان سمينًا قبل أن يتولي الخلافة ونزل وزنه بشدة بعد أن تولى الخلافة » .

وقال رجاء بن حَيْوةَ : سمرتُ ليلة عند عمر ، فغشى السراج وإلى جانبه وصيف ـ قلت : ألا أنبهة ؟ قال: لا ، قلت: أفلا أقوم ؟ قال: ليس من مروءة الرجال استخدامه ضيفه ، فقام إلى بطة الزيت وأصلح السراج ثم رجع ، وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا

عمر بن عبد العزيز [٣] .

تعريف الإمام عند العلامة ابن كثير :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشى الأموى أمير المؤمنين.

وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ .

ويقال له: أشج بنى مروان ، وكان يقال : الأشج والناقص أعلا بنى مروان ، فهذا هو الأشج وسيأتى ذكر الناقص . كان عمر تابعيا جليلاً، روى أنس بن مالك ، والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف صحابى صغير ، وروى عن خلق من التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم .

قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أدرى قول أحد من التابعين حجة إلا عمر بن عبد العزيز .

بويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك عن عهد منه له بذلك ويقال: كان مولده فى سنة إحدى وستين ، وهى السنة التى قتل فيها الحسين بن على بمصر ، قاله غير واحد ، وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل: سنة تسع وخمسين ، فالله أعلم.

وعن يحيى بن بكير ، عن الليث : قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة ، كان يحدثه أن رجلاً رأى فى المنام ليلة

---

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢٢٢ (٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ٢٢٢ ـ ٢٣٣ .

ولد عمر بن عبد العزيز ـ أو ليلة ولى الخلافة أن مناديا بين السماء والأرض ينادى : أتاكم اللين والدين وإظهار العمل الصالح فى المصلّين، فقلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب فى الأرض ع.م.ر «عمر».

وقال آدم بن إياس : ثنا أبو على ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال: دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه « الاصطبل : مكان مبيت الأنعام والجياد » فضربه فرس فشجه ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بنى أمية إنك إذا لسعيد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة .

وقال نعيم بن حماد : ثنا ضمام بن إسماعيل ، عن أبى قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبلغ أمه فأرسلت إليه فقالت : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكت أمه.

وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضحاك بن عثمان الخزامى ، كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤديه ، فلما حج أبوه اجتاز به فى المدينة فسأله عنه، فقال: ما خبرت أحدًا الله أعظم فى صدره من هذا الغلام .

وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يومًا ، فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال: كانت مُرَجِّلَتِي تسكن شعرى ؛ فقال له : قدَّمت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلي أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه

حتى حلق رأسه ، وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص عليًا، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه وقام يصلى، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مغضبا، وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ قال: ففهمها عمر وقال: معذرة إلى الله ثم إليك والله لا أعود ، قال: فما سُمع بعد ذلك يذكر عليا إلا بخير.

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : ثنا أبى ثنا المفضل بن عبد الله عن داود بن أبى هند . قال: دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب ـ وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبى ﷺ فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثنا العتبى قال: إن أول ما استُبِين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته فى الأدب ، إن أباه ولى مصر وهو حديث السن يشك فى بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال: يا أبَتِ أو غير ذلك لعله يكون أنفع لى ولك؟ ، قال: وما هو ؟ ، قال: برحلتى إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم .

فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقعد مع

مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، ولما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة وهى التى يقول الشاعر فيها:

بنتُ الخليفة والخليفةُ جدها   أخت الخلائفِ والخليفة زوجها

قال: ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

وقال ابن وهب: حدثنى الليث حدثنى قادم البربرى أنه ذاكر ربيعة ابن أبى عبد الرحمن يوما شيئًا من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذى نفسى بيده ما أخطأ قط.

وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال: ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعنى عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة . قالوا: وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود ، وفى رواية صحيحة أنه كان يسبح فى الركوع والسجود عشرًا عشرًا ، وقال ابن وهب : حدثنى الليث عن أبى النضر المدينى، قال: رأيت سليمان بن يسار ، خارجا من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له: من عند عمر خرجت ؟ قال: نعم. قلت: تعلمونه ؟ ، قال: نعم ، فقلت: هو والله أعلمكم .

وقال مجاهد: أتينا نعلمه فما برحنا حتي تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء. وقال الليث : حدثنى رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس ، مكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شىء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال : عبد الله بن طاوس : رأيت أبى تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا فلما افترقا. قلت : يا أبتِ من هذا الرجل؟

قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت ـ يعنى بنى أمية ـ وقال عبد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لى ، فقال لى : اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة .

وقال الإمام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة ـ يعنى فى سنة ثلاث وتسعين ـ وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه : يا مزاحم ، تخشى أن نكون ممن نفت المدينة ـ يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ـ ويضع طيبها . قلت: خرج من المدينة فنزل بمكان قريب منها يقال: السويداء حينا ، ثم قدم دمشق على بنى عمه قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبى حكيم . قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى، فلما قدمت الشام نسيت .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن زيد عن معمر ، عن الزهرى قال: سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته، فقال: كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيتُ . وقال ابن وهب عن الليث بن عقيل عن الزهرى قال : قال عمر بن عبد العزيز : بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو عابس، فأشار إلى أن أجلس ، فجلست فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل؟ فسكت،ثم عاد فسكت، ثم عاد فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين؟، قال : لا ، ولكن سَبَّ ، فقلت : يُنكل به ، فغضب وانصرف إلى أهله، وقال لى ابن الريان السياف : اذهب ، فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردنى إليه .

أعجب ممن عرف الله فعصاه :

قال عثمان بن زمر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان : ما نقول يا عمر فى هذا ؟ فقال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضا وأنت المسئول عن ذلك كله، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة من فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، ونعب نعبة ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر؟ فقال: لا أدرى.

فقال : ما ظنك أنه يقول؟

قلت : كأنه يقول : من أين جاءت؟ وأين يذهب بها ؟

فقال له سليمان : ما أعجبك ؟

فقال عمر : أعجب ممن عرف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وأنه لما وقف سليمان وعمر بعرفة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر : هؤلاء رعيتك اليوم وأنت مسئول عنهم غدًا .

وفي رواية: وهم خصماؤك يوم القيامة ، فبكى سليمان ، وقال : بالله نستعين .

وروى: أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر فقال له : أتضحك؟!

فقال: نعم هذه آثار رحمته ونحن فى هذه الحال ، فكيف بآثار غضبه، وعقابه ، ونحن فى تلك الحال؟

وذكر الإمام مالك أن سليمان وعمر تقاولا مرة فقال له سليمان، فى جملة الكلام : كذبت .

فقال : تقول كذبت ؟ والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله.

ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه سليمان ثم بعث إليه فصالحه ، وقال له : ما عرض لى أمر يهمنى إلا خطرت على

بالى. وقد ذكرنا أنه لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك ولله الحمد (٤) .

أنا ميت وعز من لا يموت :

وقال على بن زيد : ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن، وعمر بن عبد العزيز .

وقال بعضهم : رأيته يبكى حتى بكى دما ، قالوا: وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (٥) الآية، ويقرأ ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٦) الآية ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم يبكون كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولى : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل يقول الشاعر:

فما تزود مما كان يجمعُــه سوى حنوطٍ غداة البين فى فرق

وغير نفحة أعوادٍ تشب له وقــلَّ ذلك مــن زاد لمنطلـــق

بأيمـــا بـلا كانت منيتـــه إن لا يسر طائعا قصدها يســـق

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو فى جنازة إلى قوم قد تلثموا من الغبار ، والشمس، وانحازوا إلى الظلِّ فبكى وأنشد :

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار يخاف الشين والشعثا

---

(٤) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير ك ٩/١٩٩ ـ ٢٠٣ . (٥) الأعراف: ٥٤. (٦) الأعراف: ٩٧.

ويألف الظل كى يتقى بشاشته ... فسوف يسكن يوما راغما حدثا

فى قعر مظلمة غبراء موحشة ... يطيل فى قعرها تحت الثرى اللبثا

تجـهزى بجـهاز تبلغـين بــه ... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

هذه الأبيات ذكرها الآجرى فى أدب النفوس بزيادة فيها فقال: أخبرنا أبو بكر أنبأنا أبو حفص عمر بن سعد القراطيسى ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى الدنيا ، حدثنى محمد بن صالح القرشى ، أخبرنى عمر بن الخطاب الأزدى : حدثنى عبد الصمد بن عبد الأعلى ابن أبى عمرة ، قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولاً إلى إليون طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ائذن لي فى بعض بنى يخرج معى ـ وكان عبد الأعلى له عشرة من الذكور ـ فقال له: انظر من يخرج معك من ولدك فقال عبد الله ، فقال له عمر : إنى رأيت ابنك عبد الله يمشى مشية كرهتها منه وقعته عليها .

وبلغنى أنه يقول الشعر .فقال عبد الأعلى ، أما مشيته: تلك فغريزة فيه ، وأما الشعر فإنما هو نواحة ينوح بها على نفسه.

فقال له : مر عبد الله يأتينى وخذ معك غيره ، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه فاستنشده فأنشده ذلك الشعر المتقدم:

تجهـــزى بجهـــاز تبلغـــين بـــه ... يا نفسُ قبل الردى لم تخلقى عبثا

ولا تكـدى لمن يبقــي وتفتقـــرى ... إن الردى وارث الباقى وما ورثـا

واخشى حوادث صرفِ الدهر فى مهل ... واستيقظى لا تكونى كالذى بحثـا

عن مدية كان فيها قطعُ مدتـــه ... فوافت الحرثَ موفورا كما حرثـا

لا تأمنى فجْعَ دَهـرٍ متـرف خـتـلٍ قد استوى عندهُ من طابَ أو خبثا

يَا رُبَّ ذى أمل فيـه علـى وجـل أصحى به آمنا أمسى وقد حدثـا

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار يخاف الشين والشعثـا

ويألف الظـل كـى تبقـى بشاشتـه فكيف يسكنُ يوما راغما جدثا؟

قفـراء موحشـة غبـراء مظلمـة يطيل تحت الثرى من قعرها اللبثا

وقد ذكرها ابن أبى الدنيا فعمر أنشدها عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكان عمر يتمثل بها كثيرا ويبكى.

وقال الفضل بن عباس الحلبى : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خير فى عيش امرئ لم يكن له من الله فى دار القرار نصيبُ

وزاد غيره معه بيتا وهو قوله :

فإن تُعجب الدنيا أناسًا فإنها متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ

ومن شعره الذى أنشده ابن الجوزى :

أنا ميت وعز من لا يمـوت وقد تيقنت أننى سأمـوت

ليس ملك يزيلهُ الموتُ مُلكًا إنما الملكُ مُلك من لا يموت

وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول:

تسرُ بما يغنى وتفـرح بالمنـى كما اغتر باللذات فى النوم حالمُ
نهارُكَ يا مغرور سهو وغفـلـةٌ وليلك نـومٌ والـردى لك لازمُ
وسعيك فيما سوف تكرهُ غبهُ كذلك فى الدنيا تعيش البهائـمُ

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أيقظـان أنت اليـوم أم أنت نائـمُ وكيف يطيقُ النوم حيرانُ هائـمُ
فلـو كنت يقظـانُ الغـداة لحرقـت محاجرَ عينيك الدموعُ السواجمُ
أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت إليـك أمـورُ مفظعاتُ عظائم
وتكدح فيما سـوف تكـره غبـة كذلك فى الدنيا تعيش البهائـم
فلا أنت فى النـوام يومًا بسالـمٍ ولا أنت فى الأيقاظ يقظانُ حازمُ

وروى ابن أبى الدنيا بسنده ، عن فاطمـة بنت عبد الملك قالت انتبه عمر ذات ليلة وهو يقول : لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة. فقلت: أخبرنى بها.

فقال: حتى تصبح ، فلما صلي بالمسـلمين دخل عليها فسألته فقال: كأنى دفعـت إلى أرض خضراء ، واسعة كـأنها بساط أخضـر وإذا فيها قصر كأنه الفضة فخرج منه خارج فنادي أين محمد بن عبد الله؟ ، أين رسول الله ؟ إذ أقبـل رسول الله ﷺ ، حتى دخل ذلك الـقصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى: أين عمـر بن الخطاب؟ ؛ فأقبل فدخل ، ثـم خرج آخر فخرج

فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى أين على بن أبى طالب؟ ؛ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين عمر ابن عبد العزيز؟ ؛ فقمت فدخلت فجلست إلى جانب أبى ـ عمر بن الخطاب ـ، وهو عن يسار رسول الله ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقلت لأبى : من هذا ؟ قال: هذا عيسى ابن مريم ، ثم سمعت هاتفا يهتف بينى وبينه نور لا أراه ، وهو يقول: يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه ، وأثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لى فى الخروج فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذى نصرنى ربى ، وإذا علِيٌّ فى إثره وهو يقول : الحمد لله الذى غفر لى ربى (٦).

تعريفه عند الإمام النبهاني :

يقول الإمام النبهانى : قال الإمام الثعالبى فى كتاب « العلوم الغافرة:

ذكر الفقيه شاكر بن مسلم ، عن ابن حبيب ، عن ابن الماجشون عن ابن الدراوردى: أن رجلا من أهل الشام كان قائما فى أندر له يعالجه ومعه زوجته، وكان لهما ابن صالح كان قد مات شهيدا قبل ذلك بقريب ، فنظر الرجل إلي ناحية غير بعيدة فرأى فارسا مقبلا نحوه ، فقال لامرأته: ألا تنظرين إلى هذا الفارس ما أشبهه بابننا فلان؟ فقالت

(٦) البداية والنهاية : ٩/٢١١ ـ ٢١٤ .

له: يرحمك الله اخز الشيطان وكيف يكون ذلك وابنك قد مات؟، فأقبل الرجل على شغله ، فما لبث أن وقف عليهما وسلم فنظرا إليه وردا عليه السلام فتأملاه فإذا هو ابنهما فقاما إليه خجلين من الفزع باهتين من السرور متعجبين من الأمر فقال لهما: مكانكما لست لكما ولستما لى ولاجئت إليكما ، وإنما جئت إلى غيركما فررتكما ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين مات فاستأذن الشهداء ربهم سبحانه فى حضور جنازته ، فأذن لهم وأنا منهم ، ثم جعل يسألهما عن حالهما ويعظهما ويعدهما من الله بجميل ثم دعا لهما وسلم عليهما ، فبذلك عرف أهل تلك البلد بموت عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقال فى تحفة الأنام : من كراماته أن الذئاب والغنم كانت تختلط بالمرعى فلا الغنم تخاف الذئاب ولا الذئاب تسطو عليها . مات سنة ١٠١وهو ابن تسع وثلاثين سنة ودفن بدير سمعان فى أعمال حمص(٧).

تعريفه عند العلامة ابن الجوزي :

يقول العلامة ابن الجوزى : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويكنى أبا حفص .

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر البزاز ، قال: أخبرنا أبو محمد

(٧) كرامات الأولياء : ٢/ ٤٠٠ ـ ٤١١.

الجوهرى ، قال: أخبرنـا أبو عمر بن حيوية ، قال: أخبرنـا سليمان بن إسحاق الجلاب ، قال: حـدثنا الحارث بن أبى أسامة ، قـال : حدثنا محمد بن سـعد ، قال: ابن شوذب : لما أراد عبد الـعزيز بن مروان أن يتزوج أمَّ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز أهل بيت لهم صلاح . فتزوج أم عمر بن عبد العزيز .

يا رجاء :

وما زال يميل إلى الخير والدين مع أنه ولي الإمارة ، وكانوا يهرهون إليه فى أحـوالهم . ولما مرض سليـمان كتب العهد لابـنه أيوب ، ولم يكن بالغا ، فرده عن ذلك رجاء بن حيوة. فقال له : فما نرى فى ابنى داود ، فقال له : هو بـقسطنطينية ، وأنت لا تـدرى أحى هو أم ميت؟ قال: فمن؟ ، فقال: رأيك يا أمير المؤمنين ، قال: كيف ترى عمر ؟ ، فقال: أعلمه والله فاضلاً خيرًا مـسلمًا ، فقال: لئن وليته ولم أول أحدًا من ولد عبد الملك لـتكونن فتنة ، ولا يتركونه ، فكـتب له، وجعل من بعده يزيـد ، وختم الكتاب، وأمر أن يـجمع أهل بيتـه، وأمر رجاء بن حيوة أن يذهب بـكتابه إليهم ، وأمرهم فـليبايعوا لمن فيه، فـفعلوا، ثم دخلوا عـلى سليـمان والكتاب بـيده، فقال: هذا عـهدى فاسمـعوا له وأطيعوا وبايعوا .

قال رجاء: فـجاءنى عمـر بن عبد العـزيز ، فقال: يـا رجاء ، قد كانت لى بسليمان حرمة وأنا أخشى أن يكون قد أسند إلى من هذا الأمر شيئًا ، فإن كان فأعلمنى استعفيه ، فقال رجاء: والله لا أخبرك بحرف،

فمضى . قال : وجاءنى هشام فقال: لى حرمة وعندى وعندى شكرى فأعلمنى ، فقلت : لا والله لا أخبرك بحرف فانصرف هشام وهو يضرب بيد على يد ويقول: فإلى من ؟

فلما مات سليمان جددت البيعة قبل أن يخبر بموته ، فبايعوا ، ثم قرأ الكتاب ، فلما ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام : والله لا نبايعه، فقال له رجاء : إذن والله أضرب عنقك قم فبايع ، فقام يجر رجليه ويسترجع إذ خرج عنه الأمر ، وعمر يسترجع إذ وقع فيه .

ثم جيء بمراتب الخلافة ، فقال عمر : قربوا لى بغلتى ، ثم أنشد يقول:

ولولا التقى ثم النُّهى خشية الردى   لعاصيت فى حب الهوى كل زاجر

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى   له صبوة أخري الليالى الغوابر

ثم خطب فقال:

يا أيها الناس :

إنى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ، ولا مشورة وإني قد جعلت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم ، فصاح الناس صيحة واحدة ، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فَلِىَ أمرنا باليمن والبركة .

فقال: أوصيكم بتقوي الله فإن تقوى الله خلف من كل شىء . وليس من تقوى الله خلف ، فاعملوا لآخرتكم ، فإن من عمل لآخرته

كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم وإن امرأ لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أبًا حيًا لُمعرف له فى الموت.

ثم دخل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال ثمنها فى بيت المال ورد المظالم (١) .

اتق الله ولا تقل إلا حقا :

إن من عادة الأمراء والسلاطين شراء ألسنة الشعراء حتى يكثر مدحهم ويعلو ذكرهم ، والشعراء أغلب ما يهمهم فى الأمر المال ولا شىء سوى . . . المال . . وكم من ذميم قبيح جملوه بالمال ، وكم من ظالم وصفوه بالعدل بعد أخذهم المال.

لذا فكان السلطان والأمير يشترى من يرسم له صورة غير صورته بالمال ونسى أن هذا شراء كاذب ، ولو أنه أنفق هذا المال على الفقراء لكان خيرًا له سلام له فى الدنيا ، وسلام له فى الآخرة إن كان المال لوجه الله ينفق على الفقراء لا الشعراء.

وكما قلنا من قبل: إن أميرنا عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان يشتهر بالعقل لذا فقد كان ينفق على الفقراء لا الشعراء وكان يتقرب إلى الناس ومجالس النور لا إلى اللغو واللهو ومجالس أهل الدنيا من الشعراء ولنا فى ذلك قصة شهيرة وهى ما ساقها لنا العلامة ابن الجوزى حين قال:

---

(٨) المنتظم لابن الجوزى : ٤/١٨٥٩ ـ ١٨٦١ .

أخبرنا محمد بن ناصر ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار ، قال: أخبرنا أبو الطيب ، الطبرى ، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا ، قال: حدثنا محمد بن المرزبان ، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الجوهرى ، قال حدثنا عبد الله بن الضحاك ، قال : حدثنا الهيثم بن عدى ، عن عوانة بن الحكم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه ، فأقاموا ببابه أيامًا لا يؤذن لهم . فبينا هم كذلك وقد أزمعوا على الرحيل إذ مر بهم رجاء بن حيوة - وكان من خطباء أهل الشام - فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يَقول :

يا أيها الرجل المرخى عمامته   هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال : فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئًا ، ثم مَرَّ بهم عدى بن أرطاة، فقال له جرير :

يا أيها الرجل المزجى مطيته   هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه   أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن
لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة   قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

قال : فدخل عدى على عمر ، فقال: يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك وسهامهم مسموعة وأقوالهم نافذة ، قال: ويحك يا عدى، مالى وللشعراء قال: أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امتُدح وأعطى ولك فى رسول الله ﷺ أسوة ، قال: كيف؟ ، قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة قطع بها لسانه، قال: أو تروى

من قوله شيئًا ؟ ، قال : نعم فأنشده يقول:

رأيتك يا خير البرية كلها … نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا … عن الحق لما أصبح مظلما
ونورت بالتبيان أمرًا مدلسا … وأطفأت بالقرآن نارًا تضرما
فمن مبلغ عنى النبى محمدا … وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه … وكان قديمًا ركنه قد تهدما
تعالى علوًا فوق عرش إلهنا … وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال : ويحك يا عدى ، من بالباب منهم ؟ قال: عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة ، قال: أوليس هو الذى يقول:

ثم نبهتها فهبت كعابًا … طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم إنها بعد قالت … ويلتا قد عجلت ياابن الكرام
أعلى غير موعد سرى … تتخطى إلى رؤوس النيام؟

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه ، لا يدخل على والله أبدًا، من بالباب سواه ؟ قال: همام بن غالب يعنى الفرزدق ، قال: أليس هو القائل :

هماد ليانى من ثمانين قامة … كما انْقَضَّ بازٍ أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا … :أحىٌّ يرجى أو منيل تحاذره؟

يا عدى ، هو الذى يقول :

ولست بصائم رمضان طوعًا ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عيسًا بكور إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتًا بعيدًا بمكة أبتغنى فيه صلاحى
ولست بقائم كالعير أدعو قبل الصبح حَىَّ على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر أبدًا ، فهل بالباب سوى من ذكرت؟، قال: نعم الأحوص ، قال : أليس هو الذى يقول:

الله بينى وبين سيدها يفر منى بها وأتبع

فمن هاهنا أيضا ؟ قال: جميل بن معمر ، قال: يا عدى هو الذى يقول :

الا ليتنا نحيا جميعًا وإن أمت يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحًا، والله لا يدخل على أبدًا ، فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال: نعم جرير ابن عطية ، قال: أما أنه الذى يقول:

إن الذى بعث محمدًا جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه حتي ادعوى فأقام ميل المائل
إنى لأرجو منك خيرًا عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل؟

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير ، اتق الله ولا تقل إلا حقًا فأنشأ جرير يقول :

أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت ... أم قد كفانى بما بُلِّغت من خبرى
كم باليمامة من شعثاء وأرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدُّك فقد والده ... كالفرخ فى العُش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبْلاً من الجِن أو مسًا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا؟ ... لسنا إليكم ولا فى دار منتظر
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى ... قد طال فى الحى إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ... ولا يعود لنا بادٍ على حضر
إنا لنرجوا إذًا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة إذْ كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر
هذه الأرامل قد قضَّيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرامل الذكر؟
الخير ما دُمْتَ حيًا لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخَيِّران من عمر

فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما هاهنا حقًا، قال: بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن سبيل ومنقطع . فأعطاه من صلب ماله مائة درهم .

قال: وقد ذكر أنه قال له : ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم، فمائة أخذهـا عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية . قال: فأخذها، وقال: والله لهي أحب من كل ما اكتسبته قال: ثم خرج ، فقال له الشعراء: ما وراءك؟

قال: ما يسركم ، خرجت من عند أميـر المؤمنين وهو يعطي الفقراء ولا يعطى الشعراء ، وإنى عنه لراض وأنشأ يقول:

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

وحكـى ابن قتيـبة عن حمـاد الراوية ، قـال : قال لى كثـير : ألا أخبرك بما نعانـى إلى ترك الشعر ؟ ، قلت : خبرنـى ، قال: شخصت أنا والأحوص ونصـيب إلى عمر بن عـبد العزيز ، وكل واحـد منا يدل عليه بسابقة له أو خلة ونحن لاشك فـي أنه سيشركنا فى خلافته ، فلما رفعت أعلام خناصره لقـينا مسلمة بن عبد الملك جائيـا عنده وهو يومئذ فتى الـعرب، فسلـمنا علـيه، ثم قال: أمـا بلغكـم أن إمامكم لا يـقبل الشعر؟، قلت: مـا وضح لنا حتى لقيناك . ووجمـنا وجمة عرف ذلك فينا، قال: إن يكن ما تحبون وإلا فما ألبـث حتى أرجع إليكم فأمنحكم ما أنتـم أهله، فلما قـدم كانت رحالنا هـذه بأكرم منزل وأفضـل منزول عليه، وأقمنا أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره، فلم يأذن لنا إلى أن قلت فى جمعة من تلك الجرع : لو أنى دنوت من عمر وسمعت كلامه فتحفظته كان ذلك رأيًا ، فكان مما تحفـظته من كلامه يومئذ : لكل سفر لا محالة زاد ، فـتزودوا من الدنيا إلـى الآخرة التقوى ، وكونـوا كمن عاين ما أعـد الله له من ثوابه وعقـابه ، فترغبوا وترهبـوا، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، فى كلام كثير .

ثم قال:

أعوذ بالله ، أن آمـركم بما أنهي عنه نفـسى فتخسر صفقـتى وتظهر عيبتى، وتبدو مـسكنتى فى يوم لا ينفع فيه إلا الحـق والصدق. ثم بكى حتى ظننا أنـه قاضٍ نحبه ، وارتَّج المسجد بالبكاء والـعويل ، فرجعت إلى أصحابى فقلت : خذوا فى شرح من الشـعر غير ما كنا نقول لعمه وآبائه، فإن الرجل أخروى وليس بدنيـوى إلى أن استأذن لنا مسلمة يوم الجمعة ، فأذن لنا بعدما أذن للعامة فلما دخلت سلمت ، ثم قلت : يا أمير المـؤمنين ، طال الثـواء ، وقلت الفائدة ، وتحـدثت بجفائـك إيانا وفود العرب.

فقال: يا كـثير ، ﴿ إِنَّمَا الـصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيـلِ اللَّهِ وَابْنِ الـسَّبِيـلِ ﴾ أفى واحد مـن هؤلاء أنت؟

فقلت: ابن سبيل منقطع به وأنا صاحبك ، قال: أولست ضيف أبى سعيد؟

قلت: بلى.

قال: ما أرى من كان ضيفه منقطعًا به .

قلت: أتأذن لى فى الإنشاد يا أمير المؤمنين ؟

قال: قل ولا تقل إلا حقًا.

فقلت:

وليت فلم تشتم عليًا ولم تخف بريًا ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذى أتيت فأمسى راضيًا كل مسلم
وقد لبست لبس الهلوك ثيابها تراءى لك الدنيا بوجه ومعصم
وتومض أحيانا بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزًا كأنما سقتك مذوقا من سمام وعلقم
وقد كنت من أجبالها فى ممنع ومن بحرها فى مزبدالموج مفعم
فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذى يفنى وإن كان مونقًا وآثرت ما يبقى برأى مصمم
بسمالك همٌ فى الفؤاد مؤرق بلغت به أعلى البناء المقدم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها منادٍ ينادى من فصيح وأعجم
يقول: أمير المؤمنين ظلمتنى بأخذٍ لدينار ولا أخذ درهم
ولا بسط كف بامرئ غير مجرم ولا السفك منه طالما ملء محجم
فأربح بها من صفقة كمتابع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لى : يا كثير ، إنك تُسأل عما قلت . ثم تقدم الأحوص فاستأذنه فى الإنشاد ، فقال: قل ولا تقل إلا حقًا ، فقال :

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف بمنطق حق أو بمنطق باطل
فلا تقبلن إلا الذى وافق الرضا ولا ترجعنا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة ولا شامة فعل الظلوم المجادل
ولكن أخذت القصد جهدك كله وتقفو منال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب القصد جهدك كله :وتقفو منال الصالحين الأوائل

فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يرد الحق من قول قائل؟
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه على فُوقة إن غار من نزع نابل؟
ولولا الذى قد عودتنا خلائق غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما وحذت شهرا برجلى رسلة تقدمتان البيد بين الرواحل
فإن لم يكن للشعر موضع وإن كان مثل الدر من قيل قائل
فإن لنا قربى ومحض موجة وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عدو الشرك عن عقر دارهم وأرسوا عمود الدين بعد الشمائل
وقبلك ما أعطى هنيدة جلة على الشعر كعبًا من سديس وبازل
رسول الإله المستضاء بنوره عليه سلام بالضحى والأصائل
فكل الذى عددت يكفيك بعضه ونيلك خير من بحور سوائل

فقال: يا أحوص ، إنك تُسأل عما قلت .

وتقدم نصيب فاستأذنه فى الإنشاد فلم يأذن وأمره بالغزو إلى دابق ، فخرج وهو محموم . وأمر لى بثلاثمائة درهم ، وللأحوص بمثلها، ولنصيب بخمسين درهما.

قال المصنف : وما زال عمر بن عبد العزيز منذ ولى يجتهد فى العدل ومحو الظلم وترك الهوى، وكان يقول للناس : ادخلوا إلى بلادكم فإنى أنساكم ها هنا وأذكركم فى بلادكم . ومن ظلمه عامله فلا إذن له على [٤٠] .

---

(٤٠) المنتظم : ٤/ ١٨٦٢ ـ ١٨٦٨.

عدل السلطان مقدم على شهواته :

يقول العلامة ابن الجوزى : عند الهيثم بن عدى ، قال : كانت لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان - زوجة عمر بن عبد العزيز - جارية ذات جمال فائق وكان عمر معجبا بها قبل أن تفضى إليه الخلافة ، فطلبها منها وحرص ، فغارت من ذلك ، فلم تزل فى نفس عمر ، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت ثم صليت ، فكانت حديثا فى حسنها وجمالها ، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت بفلانة معجبا ، وسألتنيها فأبيت ذلك عليك ، وإن نفسى قد طابت لك بها اليوم فدونكها ، فلما قالت ذلك استبانت الفرح فى وجهه ، ثم قال: ابعثى بها إلى ، ففعلت فلما دخلت عليه نظر إلى شىء أعجبه فازداد بها عجبا ، فقال لها : ألقى ثوبك ، فلما همت أن تفعل قال : على رسلك ، اقعدى ، أخبرينى لمن كنت؟ ، ومن أين أنت لفاطمة ؟!

قالت: كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً ، وكنت فى رقيق ذلك العامل فاستصفانى عنه مع رقيق له وأموال، فبعث بى إلى عبد الملك بن مروان وأنا يومئذ صبية ، فوهبنى عبد الملك لابنته فاطمة .

قال: وما فعل ذلك العامل ؟

قالت: هلك .

قال: وما ترك ولدًا؟

قالت: لى.

قال: وما حالهم ؟

قالت: بشرّ .

قال: « شدى عليك ثوبك ».

ثم كتب إلى عبد الحميد عامله على بلدهم : أن سرح إلى فلان بن فلان على البريد ، فلما قدم قال: ارفع إلى جميع ما أغرم الحجاج أباك فلم يرفع إليه شيئا إلا دفعه إليه ، ثم أمر بالجارية فدفعت إليه ، فلما أخذ بيدها. قال: إياك وإياها فإنك حديث السن ولعل أباك أن يكون وطئها، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين هى لك ، قال: لا حاجة لى فيها، قال: فابتعها منى ، قال: لست إذًا ممن ينهى النفس عن الهوى. فمضى بها الفتى فقالت له الجارية : فأين موجدتك بى يا أمير المؤمنين ؟ قال: إنها لعلى حالها ولقد ازدادت ، فلم تزل الجارية فى نفس عمر حتى مات[١١] .

رحمة الله عليك يا نعم الخليفة العادل ، يامن كان هواك لرضا الله وفقط .

---

(١١) المنتظم لابن الجوزى : ٤/١٨٦٨ ـ ١٨٧٩ .

تحيب وتبسم :

قبل أن أذكر لكم هذه القصة ، أقول لكم إن بعض وليس كل أهل العلم لا يعتقدون فى إجراء الرؤيا البعيدة ، ولكنى أقول لهم: إن كانت من رجل يشهد له بالعفاف والنقاء والإيمان ، ربما يجب أن نعدل عن هذا الرأي لأن رسول الله ﷺ أخبر أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة وأخبر أيضا أن الرجل إذا شُهِد له بالإيمان فهو مؤمن خصوصا إن كانت هذه الشهادة من أفراد أهل علم . لذا فهى رؤيا صادقة لرجل صادق وحتى لا أطيل عليكم فلنعرض قصتنا وستعلمون لما قدمنا لها بهذه المقدمة .

يقول العلامة ابن الجوزى :

عن أبى حازم قال : قدمت على عمر بن عبد العزيز وقد ولى الخلافة ، فلما نظر إلىّ عرفنى ولم أعرفه ، فقال: ادن منى ، فدنوت منه ، فقلت : أنت أمير المؤمنين ؟ ، قال: نعم ، فقلت : ألم تكن عندنا بالمدينة أميرًا ؟، فكان مرتبك وطيًا ، وثوبك نقيا ووجهك بهيًا، وطعامك شهيًا ، وخدمك كثير فما الذى غيرك وأنت أمير المؤمنين؟ ، فبكى وقال: يا أبا حازم ، كيف لو رأيتنى بعد ثلاث فى قبرى وقد سالت حدقتاى على وجنتى ، ثم جف لسانى ، وانشق بطنى وجرت الديدان فى بدنى لكنت أشد إنكارًا ، أعد على الحديث الذى حدثتنى بالمدينة ، قلت: يا أمير المؤمنين سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبى

ﷺ يقول : « إن بين أيديكم عقبة كؤودا مضرسة لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول».

قال : بكى بكاءًا طويلاً ثم قال لى : يا أبا حازم ، أما ينبغى لى أن أضمر نفسى لتلك العقبة فعسى أن أنجو منها يومئذ ، وما أظن أنى مع هذا البلاء الذى ابتليت به من أمور الناس بناج ، ثم رقد ، ثم تكلم الناس ، فقلت : أقلوا الكلام فما فعل به ما ترون إلا سهر الليل ، ثم تصبب عرقا فى يوم الله أعلم كيف كان ؟، ثم بكى حتى علا نحيبه ، ثم تبسم ، فسبقت الناس إلى كلامه فقلت : يا أمير المؤمنين ، رأيت منك عجبًا ، إنك لما رقدت تصببت عرقا حتى ابتلّ ما حولك ، ثم بكيت حتى علا نحيبك ثم تبسمت ، فقال لى : وقد رأيت ذلك ؟ قلت : نعم ومن كان حولك من الناس رآه ، فقال لى : يا أبا حازم ، إنى لما وضعت رأسي فرقدت ، رأيت كأن القيامة قد قامت واجتمع الناس فقيل : إنهم عشرون ومائة صف فملأوا الأفق ، أمة محمد من ذلك ثمانون صفًا مهطعين إلى الداعى ، ينتظرون متى يدعو إلى الحساب، إذ نودى : أين عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق؟ فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عزّ وجلّ ، فحوسب ثم نجا، وأخذ به ذات اليمين ، ثم نودى بعمر فقربته الملائكة ، فوقفوه أمام ربه فحوسب ثم نجا وأمر به وبصاحبه إلى الجنة . ثم نودى بعثمان ، فأجاب ، فحوسب يسيرًا ، ثم أمر به إلى الجنة ، ثم نودى بعلى بن أبى طالب ، فحوسب ثم أمر به إلى الجنة فلما قرب الأمر منى أسقط فى يدى ، ثم

جعل يؤتى بقوم لا أدرى ما حالهم ، ثم نودى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فتصببت عرقًا ، ثم سئلت عن الفتيل والنقير والقطمير وعن كل قضية قضيت بها ، ثم غفر لى ، فمررت بجيفة ملقاة ، فقلت للملائكة : من هذا؟ فقالوا: إنك لو كلمته كلمة ، فوكزته برجلى فرفع رأسه إلى وفتح عينيه فقلت له : من أنت ؟ ، فقال لى : من أنت ؟ ، فقلت : أنا عمر بن عبد العزيز ، قال: ما فعل الله بك ؟

قلت : تفضل على وفعل بى ما فعل بالخلفاء الأربعة الذين غفر لهم ، وأما الباقون فما أدرى ما فعل بهم ، فقال لى : هنيئا لك ما صرت إليه ، قلت له : من أنت ؟ ، قال : أنا الحجاج ، قدمت على الله عزَّ وجلَّ فوجدته شديد العقاب فقتلنى بكل قَتْلَة قَتْلة ، وها أنا موقوف بين يدى الله عزَّ وجلَّ أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم ، إما إلى الجنة أو إلى النار .

قال أبو حازم : فعاهدت الله عزَّ وجلَّ بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ألا أقطع على أحد بالنار ممن يموت وهو يقول: « لا إله إلا الله»[١٢].

تعريفه عند العلامة الطبرى :

يقول العلامة الطبرى : قال هشام : توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر وكان يكنى أبا حفص وله يقول عويف القوافى ، وقد حضره فى جنازة شهدها معه :

(١٢) المنتظم لابن الجوزى : ٤/ ٥١٥ ـ ٥١٧.

أجِبْنى أبا حفص لقيت محمدًا على حَوضِه مُستبشرًا وزآكَا
فأنت امرؤ كلتا يديك مُقيـــدةٌ شمالك خير من يمين سوكا

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له : أشج بنى أمية ، وذلك أن دابة من دواب أبيه كانت شجته فقيل له : أشج بنى أمية .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان ابن حرب ، قال : حدثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن رافع ، قال : كنت أسمع ابن عمر كثيرًا يقول : ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر ، فى وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً ؟!

وحدثت عن منصور بن أبى مزاحم ، قال: حدثنا مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس ، أن عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق ، فأتيت به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فضمته إليها ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، ودخل أبوه عليها على تلك الحال، فأقبلت عليه تعزله وتلومه ، وتقول: ضيعت ابنى ، ولم تضم إليه خادما ولا حاضنًا يحفظه من مثل هذا ؟!

فقال لها : اسكنى يا أم عاصم ، فطوباك إذا كان أشج بن أمية[١٣].

قوام الدين العدل والإحسان :

يقول العلامة ابن جرير : حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ،

(١٣) تاريخ الأمم والملوك : ٧/ ٤٧٠ .

قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود بن سليمان الجعفى ، قال: كتب عمر بن عبد العزيز :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد ، سلام عليك ، أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكونن شىء أهم إليك من نفسك ، فإنه لا قليل من الإثم ، ولا تحمل خرابا على عامر ، ولا عامرًا على خراب ، انظر الخراب فخذ منه ما أطاق ، وأصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج فى رفق وتسكين لأهل الأرض ، ولا تأخذن فى الخراج إلا وزن سبعة لها آبين ولا أجور الضرابين ولا هدية النيروز والمهرجان [١٤] ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج [١٥] ، ولا أجود البيوت ، ولا دراهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، فاتبع فى ذلك أمرى ، فإنى قد وليتك من ذلك ما ولانى الله ، ولا تعجل دونى بقطع ولا صلب ، حتى تراجعنى فيه ، وانظر من أراد من الذرية أن يحج بها، والسلام [١٦] .

---

(١٤) النيروز : اسم أول يوم فى السنة ، وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ، وعند القبط أول توت، معرب « نوروز » أى اليوم الجديد .والمهرجان : عيد الفرس عند نزول الشمس أول الميزان .

(١٥) الفيوج : جمع فيج وهو رسول السلطان الذى يسعى بالكتب .

(١٦) تاريخ الأمم والملوك : ٧/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ .

وأخيرا تعريفه عند العلامة ابن نعيم :

قال الشيخ - رحمه الله -: ومنهم المحتصن الحريز ، ذو الشبحى والازيز المولى عمر بن عبد العزيز .

كان واحد أمته فى الفضل ، ونجيب عشيرته فى العدل ، جمع زهدا وعفافا ، وورعا وكفافا ، شغله آجل العيش عن عاجله ، وأنهاه إقامة العدل عن عادله ، كان للرعية أمنا وأمانا ، وعلى من خالفه حجة وبرهانا ، كان مفوها عليما ، ومفهما حكيما .

* حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبى حصين ثنا جدى أبو حصين محمد بن الحسين بن حبيب الوادعى القاضى ثنا عبد الرحمن بن يونس الرقى أخبرنى عطاء بن مسلم الخفاق عن عمرو بن قيس الملائى . قال: سئل محمد بن على بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال: أما علمت أن لكل قوم نجيبة ، وأن نجيب بنى أمية عمر بن عبد العزيز ، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

* حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجانى ثنا عامر بن شعيب ثنا يحى بن أيوب ثنا رزق بن رزق الكندى حدثنى جبير القصاب قال: كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براعٍ وفى غنمه من ثلاثين ذئبا ، فحسبتها كلابًا ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك ، فقلت: يا راعى ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟ فقال: يا بنى إنها ليست كلابا ، إنما هى ذئاب . فقلت: سبحان الله ذئب فى غنم لا تضرها؟

فقال: يانبى إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس ، وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

البشارة بخلافته :

يقول العلامة فى نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق الثقفى ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى ثنا عفان بن مسلم ثنا عثمان بن عبد الحميد ثنا الوليد قال: بلغنا أن رجلا كان ببعض خراسان. قال: أتانى آت فى المنام فقال إذا قام أشج مروان فانطلق فبايعه فإنه إمام عدل . فجعلت أسأل كلما قام خليفة حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأتانى ثلاث مرات فى المنام فلما كان آخر ذلك زبرنى فأوعدنى فرحلت إليه فلما قدمت لقيته فحدثته الحديث ، فقال : ما اسمك ؟ ومن أين أنت ؟ وأين منزلك ؟

فقلت : بخراسان .

قال: ومن أمير المكان الذى أنت به؟، ومن صديقك هناك وعدوك؟

فألطف المسألة. ثم حبسنى أربعة أشهر .

فقال : إنى كتبت فيك فجاءنى ما أسر به من قبل صديقك وعدوك ! فهلم فبايعنى على السمع والطاعة والعدل ، فإذا تركت ذلك فليس عليك بيعة ، قال : فبايعته . قال : أبك حاجة ؟ فقلت لا ! أنا غنى فى المال إنما أتيتك لهذا فودعته ومضيت .

* حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل

ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن على بن أبى جحملة عن أبى الأعين قال: كنت فى صحن بيت المقدس مع خالد بن يزيد بن معاوية ، إذ أقبل فتى شاب فسلم على خالد ، فأقبل عليه خالد ، فقال الفتى لخالد: هل علينا من عين ؟

قال: فبدرت، فقلت : نعم ! عليكما من الله عين سميعة بصيرة.

فترورقت عينا الفتى ونزع يده من خالد ثم ولى ، فقلت لخالد: من هذا ؟

قال: أما تعرف هذا ؟! هذا عمر بن عبد العزيز أخو أمير المؤمنين ، ولئن طال بك وبه حياة لتراه إمام هدى .

هذا هو عمر :

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد ثنا أحمد بن محمد العبدى ثنا أبو بكر بن عبيد ثنا محمد بن الحسين ثنا خلف بن تميم ثنا مفضل بن يونس. قال: قال عمر بن عبد العزيز : لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه [من نضارة الدنيا وزهوتها ، فبينا هم كذلك وعلى ذلك أتاهم جاء من الموت فاخترمهم مما هم فيه] فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ، ويذكره فى الرخاء فيقدم لنفسه خيرًا يجده بعدما فارق الدنيا وأهلها . قال: ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء فقام.

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد العبدى ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثنى محمد بن الحسن ثنا

إسحاق بن منصور بن حيان الأسدى ثنا جابر بن نوح قال: كتب عمر ابن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته أما بعد :

(فإنك إن استشعرت ذكر الموت فى ليلك أو نهارك بغض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باق والسلام) (١٧) .

هذا هو عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل ، ـ رحمة الله عليه ـ، كان دائم الذكر للموت حتى لا يلهو عنه ، كان يملك عقلا راجحا يدرك أن السعادة بعد الرحيل لا قبله فعلم وعمل ـ فرحمة الله عليه ـ.

(١٧) حلية الأولياء لأبى نعيم : ٢٠٣/٥ ـ ٢٦٤.

الإفادة

إن بهذا الفصل الكثير والكثير من الفوائد ولكني اخترت فائدة واحدة، قرأتها ونقرأها سويًا ألا وهى: « قيام الدولة بالعدل » نعم هذه هى الفائدة العظمى التى ندرت فى عصرنا هذا ، فالعدل أصبح بالكاد موجود ، ولو ساد العدل لقامت دولة الإسلام من جديد ، فالعدل يقيم الدولة، والظلم يمحوها العدل ينير لنا الطريق، والظلم بسده علينا، العدل قيمة لكل إنسان ونجاة لكل أمر ، العدل يشرح الصدور ويطفئ البغضاء والشحناء منها ، العدل طريق كل مؤمن ، والظلم طريق كل ضال حائر جائر .

ووالله لو تركت للقلم العنان لكتب وملأ الصفحات بحلاوة العدل وقيمته ، ولكنى أكتفى بأن أقول يجب علينا أن نعلم أمرين ، **الأمر الأول:** فضل العدل حتى نعلم إلى أين يصير صاحبه؟ ، **والأمر الثانى:** حظ الإنسان من العدل حتي نسير على علم بهذه الكلمة القليلة الحروف العظيمة المعانى فهيا بنا سويا نوضح الأمرين .

الأمر الأول : فضل العدل :

هناك أفضال كثيرة على من يسير على خطى العدل ، ولكنى أكتفي بذكر ما قاله العلامة الإمام يحيى بن شرف النووى فى باب « الوالى العادل» حيث ذكر لنا مصيره وشرفه وفضله قائلا:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ (١٨) . وقال تعالى ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ ﴾ (١٩) .

وعن أبى هريرة ﷺ ، عن النبى ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل معلق قلبه فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال: إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدِلُون فى حكمهم وأهليهم وما ولُّوا »** رواه مسلم.

ـ وعن عياض بن حمار ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« أهل الجنة ثلاث : ذو سلطان مُقسِطٌ مُوَفَّقٌ ، ورجُلٌ رقيقُ القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال »** رواه مسلم (٢٠) .

فكفى بالعدل فضلا على صاحبه أن يسوقه إلى رضا الله ومغفرته وجنته .

الأمر الثانى : حظ الإنسان من العدل :

يقول الدكتور أحمد الشرباصى فى تفسير لاسم الله العدل : وحظ

(١٨) النحل: ٩٠. (١٩) الحجرات : ٩ . (٢٠) انظر رياض الصالحين : ١٩٤.

العبد من اسم الله العدل هو أن يحترز عن طرفى الإفراط والتفريط .

ففى أعمال الشهوة يحترز عن الفجور الذى هو الإفراط ، وعن الجمود الذى هو التفريط ويبقى على الوسط وهو العفة ، وفى أفعال الغضب يحترز عن الهتور الذى هو الإفراط ، والجبن الذى هو التفريط، ويبقى على الوسط وهو الشجاعة . وفى الحكمة العملية يحترز عن الإفراط الذى هو الدهاء والمكر، وعن التفريط الذى هو البله ، ويبقى على الوسط وهو الحكمة العملية ، وإذا اجتمعت هذه الأوساط كان مجموعها هو العدالة ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وذلك لأن الحاكم على الطرفين لابد وأن يكون معتدلاً وسطا ، فلما جعل الله هذه الأمة حاكمة على سائر الأمم . جعلهم في الوسط ، موصوفين بالاعتدال . مبرئين عن طرفى الإفراط والتفريط فى الغفلة والرخاوة .

والطريق إلى التخلف باسم العدل هو أن يكون المرؤ عدلاً فى أحكامه وأفعاله وأوصافة فلا يظلم أحدًا . وإذا تجلى له الحق سبحانه بنور اسمه العدل أخذ نصيبا من التخلق لهذا الاسم الكريم ، فيعدل بين روحه ونفسه ، ويعدل بين جوارحه وجسمه ، ويعطى للروح رتبة الشرف والإجلال والاحترام، ويعطى للنفس رتبة الأدب والوقوف عند الحدود . ويعطى للقلب رتبة المحافظة عليه لأنه شريف لطيف . ويعدل

بين جوارحه فلا يجعلها تنغمس فى شرور ولا منكر ، ولو أنه أعطى رتبة الشرف للوضيع لم يعدل ، فإذا جعل النفس تحكم على الروح فقد ظلم وأساء .

ولقد ضرب العارفون مثلا للعدل فقالوا: لو كان عند الإنسان والد محترم وزوجة بخدمته ودابة لركوبه ، فترك والده عاريًا جائعا وأعطى لزوجته الحرية وانقاد لها . وأعطى لدابته العناية الكبرى فى الغذاء. فهذا الرجل يكون فى منتهى الجهل بالحقائق . فالوالد بمنزلة الروح لأنه أصل وجوده ، والنفس بمنزلة الزوجة لأنها منبع الشهوة . والجسم بمنزلة الدابة لأنها ركوبة تحمل الروح ، فالعدل يحتم عليه العناية بالروح . ويحتم عليه تأديب الزوجة حتى لا تتبرج يوجب عليه إعطاء القوت الضرورى لجسمه.

ويرى الغزالى: أن حظ العبد من العدل لا يخفى ، وأول ما عليه من العدل من صفات نفسه هو أن يجعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين ، ومهما جعل العقل خادما للشهوة والغضب فقد ظلم . وعدله فى كل عضو هو أن يستعمله على الوجه الذى أذن الشرع فيه ـ وأما عدله فى أهله وذريته ، ثم فى رعيته إن كان من أهل الولاية فلا يخفى . وربما ظن أن الظلم هو الإيذاء والعدل هو إيصال النفع إلى الناس ، وليس كذلك ، بل لو فتح الملك خزائنه المشتملة على الأسلحة والكتب وصنوف الأموال ولكنه فرق الأموال على الأغنياء، ووهب الأسلحة على أهل العلم وسلم إليهم القلاع ، ووهب الكتب إلى

الأجناد وأهل القتال وسلم إليهم المساجد والمدارس فقد نفع ولكنه ظلم إذ وضع كل شىء فى غير موضعه اللائق به [٢١] .

وبعد ما قاله الدكتور الشرباصى . أظن أنا علمنا جميعا حظ كل امرئ منا من العدل ، وعلمنا كيف أن الإمام عمر بن عبد العزيز كان نعم الخليفة العادل؟ ، وقد تجلى لنا عدله فى قصته مع الجارية والتى وضعناها تحت عنوان (عدل السلطان مقدم على شهواته) .

وأختم هذا الفصل بكتاب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله الذى اشتكى من خراب مدينته فنصحه الإمام عمر كاتبا له : (إذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل ونق طرقَهَا من الظلم فإنه مرمتها والسلام) .

(٢١) موسوعة له الأسماء الحسنى : ١/ ١٦٢ ـ ١٦٤ .

الفصل الثانى
تعطير الأنام
من كلام الإمام

الفصل الثاني
تعطير الأنام من كلام الإمام

إن للإمام عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - العديد والعديد من المواعظ الحسنة التى تملأ القلوب نورا ، والعقول هديا ، واللسان ذكرا، وقد رأيت أن أبدأ بموعظة جليلة آه ثم آه لو تأملناها وقرأناها بقلوب مؤمنة وعقول مستنيرة فوالله من أدركها أضاءت له الطريق وحتى لا أطيل فإليكم نصها .

رَعْدٌ وبرق

جاء في كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز للعلامة ابن الجوزى :

قال : حدثنا عبد الله بن شوذب قال: حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز ، قال: فخرج سليمان إلى الطائف ، فأصابه رعد وبرق ففزع سليمان فقال لعمر : أما ترى ما هذا يا أبا حفص ؟

قال: هذا عند نزول رحمته فكيف لو كان عند نزول نقمته ؟

* حدثنا إبراهيم بعد هشام بن يحيى بن يحيى قال: حدثنى أبى ، عن جدى قال: بينما عمر بن عبد العزيز مع سليمان بعرفات ، إذ برقت ورعدت رعدًا شديدًا فزع منه سليمان ، فنظر إلى عمر وهو يضحك ، فقال : يا عمر أتضحك وأنت تسمع ما تسمع ؟

قال : يا أمير المؤمنين !! هذه رحمة الله قد أفزعتك ، كيف لو جاءك عذابه؟

* حدثنا حاتم بن الليث قال : حدثنا خالد بن خداش قال: حدثنا عفان بن راشد قال: كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بعرفة فرعدت رعدة من رعد تهامة ، فوضع سليمان صدره على مقدم الرحل وجزع منها ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ! هذه جاءت برحمته ، كيف لو جاءت بسخطه ؟

قال : ثم نظر سليمان إلى الناس ، فقال: ما أكثر الناس ؟

فقال عمر : خصماؤك يا أمير المؤمنين . فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم .

* حدثنا عمر بن مدرك قال: سمعت مكى بن إبراهيم يقول: كنا عند عبد العزيز بن أبى رواد فى المسجد ، فارتفعت سحابة ، فجاءت برعد وبرق وصواعق ، ففزع القوم ، فتفرقنا . فلما سكنت عدنا ، فقال عبد العزيز : خرج سليمان بن عبد الملك يوما إلى بعض الوادى ، فأصابهم نحو من هذا ففزع سليمان ونادى: يا عمر يا عمر ! وكانوا ـ يعنى بنى أمية ـ إذا أصابتهم شدة فزعوا إلى عمر بن عبد العزيز، فإذا عمر ينادى ، ها أنا ذا .

قال : ألا ترى ؟

قال : يا أمير المؤمنين إنما هذا صوت نعمة ، فكيف لو سمعت

صوت عذاب؟

فقال: خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها .

فقال عمر : أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين .

قال : وما هو ؟

قال : قوم صحبوك فى مظالم لهم لم يصلوا إليك.

قال: فجلس سليمان فرد المظالم [١] .

تربية الأولاد

عندما نعتلى المناصب فى عصرنا نأمر أبناءنا بأن يتمتعوا ، ويحاولوا العيش على قدر ارتفاع المنصب ، وبالطبع ما أسوأها من تربية ، تزرع الغرور والشر فى نفوس أبنائنا ، فيكون الحصاد ما نراه اليوم ، وهو بالطبع غنى عن أن يكتب .

وسيسأل الجميع ، وما تريد بذلك ؟

أقول: أريد أن نُعَلِّم أبناءنا كما علم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبناءه « التواضع ، وكثرة الذكر ، والتقرب من الله » فينشأ الشاب بذلك على تربية سليمة وعندها سنرى بأنفسنا صلاح هذا المجتمع.

ولنقرأ سويا ما كتبه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى ابنه عبد العزيز الذى كان بالمدينة حينما تولى أبوه مقاليد الحكم والخلافة.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : ٤٢ ـ ٤٣.

كتب إليه قائلاً :

أما بعد :

فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسى أنت ، وإن أحق من رعى ذلك وحفظه عنى أنت ، وإن الله تعالى له الحمد قد أحسن إلينا إحسانا كثيرا بالغا فى لطيف أمرنا وعامته ، وعلي الله إتمام ما عبر من النعمة ، وإياه نسأل العون على شكرها ، فاذكر فضل الله على أبيك وعليك ، ثم أعن أباك على ما قوى عليه وعلى ما ظننت أن عنده منه عجزا عن العمل فيما أنعم به عليه وعليك فى ذلك ، فراغ نفسك وشبابك وصحتك ، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله حمدًا وتسبيحًا وتهليلا فافعل ، فإن أحسن ما وصلت به حديثا حسنا حمد الله وذكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثا سيئا حمد الله وذكره ، ولا تفتتن فيما أنعم الله به عليك فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه ، إن أباك كان بين ظهرانى إخوته عن أبيه يفضل عليه الكبير ، ويدنى دونه الصغير ، وإن كان الله وله الحمد قد رزقنى من والدي حسبا جميلا ، كنت به راضيا أرى أفضل الذى يبره ولده على حقا حتى وولد طائفة من أخواتك ، ولا أخرج بكم من المنزل الذى أنا فيه ، فمن كان راغبا فى الجنة وهاربا من النار فالآن فى هذه الحالة والتوبة مقبولة والذنب مغفور ، قبل نفاد الأجل ، وانقضاء العمل ، وفراغ من الله للثقلين ليدينهم بأعمالهم فى موطن لا تقبل فيه الفدية ،

ولا تنفع فيه المعذرة تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يرده الناس بأعمالهم ، ويصدرون فيه أشتاتا إلى منازلهم ، فطوبى يومئذ لمن أطاع الله ، وويل يومئذ لمن عصى الله ، فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد فى غناك ، وضع لله نفسك ، وأد إلى الله فرائض حقه فى مالك وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح : ﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠] الآية وإياك أن تفخر بقولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة بك على ربك ، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر، وكنت ممن طغى للغنى وتعجل طيباته فى الحياة الدنيا ، فإنى لأعظك بهذا وإنى لكثير الإسراف على نفسى ، غير محكم لكثير من أمرى ، ولو أن المرأ لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ، ويكمل فى الذى خلق له بعبادة ربه ، إذا تواكل الناس الخير ، وإذا يرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واستحلت المحارم ، وقل الواعظون ، والساعون لله بالنصيحة فى الأرض فلله الحمد رب السماوات والأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم [٢] .

تفكير وكلام الحاكم والعادل

يقول العلامة ابن كثير :

وقد اجتهد ـ رحمه الله ـ فى مدة ولايته ـ مع قصرها ـ حتى رد

(٢) حلية الأولياء : ٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧ .

المظالـم ، وصرف إلى كل ذى حـق حقه ، وكان مـناديه فى كـل يوم ينادى أين الغارمون [٣] ؟ أين الناكحون ؟ أين المسـاكين ؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء. وقد اختلف العلماء أيهم أفضل هو أو معاوية ابن أبى سفيان؟ ففـضل بعضهم عمر لسيرته ومعـدلته وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاويـة من رسول الله ﷺ خـير من عمر بن عـبد العزيز وأيـامه وأهل بيته : وذكر ابن عسـاكر فى تاريخه: أن عمر بن عبد العـزيز كان يعجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بنت عـبد الملك ، فكان سألها إياها إما بيعا أو هبة، فكانت تأبى عليه ذلك ، فلما ولى الخلافة ألبستها وطيبتها، وأهدتها إليه ، ووهبتـها منه ، فلما أخلتها به أعرض عنـها فتعرضت له فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدى فـأين ما كان يظهر لى من محبتك إياى ؟ فقال: والله إن محبتك لما فـيه كما هى، ولكن لا حاجة لى فى النساء ، فـقد جاءنى أمر شغلنـى عنك ، وعن غيرك ، ثم سـألها عن أصلها ومن أين جلبوها؟، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبى أصاب جناية ببلاد المغرب فصادره موسى بن نصير فأخِذْتُ فى الجناية، وبعث بى إلى الوليد فوهبنى الوليد إلى أخته فـاطمة زوجتك : فأهدتنى إليك . فقال عمر : « إن لله وإنا إليه راجعون ، كدنا والـله نفتضح ونهلك » ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجتـه فاطمة : دخلت يومـا عليه وهو جالـس فى مصلاه

---

(٣) الغارمون : الذين عليهم ديون .

واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال: ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المجهود ، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى عزَّ وجلَّ سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد ﷺ وخشيت أن لا يثبت لى حجة عند خصومته ، فرحمت نفسى فبكيت .

وقال ميمون بن مهران ولانى عمر بن عبد العزيز عماله، ثم قال لى: إذا جاءك كتاب منى على غير الحق فاضرب به الأرض.

وكتب إلى بعض عماله : إذا دعتك قدرتك على الناس إلى مظلمة، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتى إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك .

وقال عبد الرحمن بن مهدى عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى : إن للإسلام سننا وفرائضًا وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعشْ أبينهما لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص، وذكره البخارى فى صحيحه تعليقا مجزوما به.

وذكر الصولى أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله

فإنها هي التى لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

وقال: من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير .

وقال: من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

وكلمه رجل يومًا حتى أغضبه فهم به عمر، ثم أمسك نفسه، ثم قال للرجل : أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان ، فأنال منك ما تناله منى غدا ؟ قم عافاك الله لا حاجة لنا فى مقاولتك .

وكان يقول: إن أحب الأمور إلى الله القصد فى الجد ، والعفو فى المقدرة ، والرفق فى الولاية ، وما رفق عبد بعبد فى الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة (٤) .

أشرف المجالس

يقول العلامة ابن الجوزى : حدثنا أبو المقدام هشام بن زيا قال: حدثنا محمد بن كعب القرظى قال: عهدتُ عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك ، وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم، فلما استخلف أتيته بخناصرة فدخلت عليه وقد قاس ما قاس ، وإذا هو قد تغيرت حالة عما كان فجعلت أنظر إليه نظرًا لا أكاد أصرف بصرى

(٤) البداية والنهاية : ٩/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

عنه. فقال : إنك لتـنظر إليَّ نظرًا ما كنت تنظره إلـيَّ من قبل ، يا ابن كعب ، قلت: تعجبنى. قال: وما عجبك؟

قلت: لما حال من لونك ، ونفى من شعرك أو نحل من جسمك.

قال : فكيف لو رأيتنى ، يا ابن كعب ، فى قبرى بعد ثالثة ، حين تقع حدقتى على وجنتى ، ويسيل منخرى ، وفمى صديدًا ودودًا ، كنت لى أشد نكرة ؟ ثم قال : أعد عليَّ حديثًا حدثتنيه عن ابن عباس .

قلت : نعم ، حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (إن لكل شىء شرفًا ، وإن أشرف المجالـس ما استقبل به القبلـة ، وإنما تجالسون بالأمانة ، ولا تصلوا خلف النائم والمحدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فـى صلاتكم ، ولا تستروا الجـدر بالثياب ، ومن نظـر فى كتاب أخيه بغير إذنـه فكأنما ينظر فى النار ، ومن أحـب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومـن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بمـا فى يد الله عزَّ وجلَّ أوثق منه بما فى يده) (٥) .

تاقت نفسى إلى الآخرة

يقول العلامة ابن الجوزى :

حدثنى أبو معـمر ، عن سفيان قال : قال : قال لى عـمر بن عبد العزيز : كانت لى نفس تواقة فكـنت لا أنال شيئا إلا قامت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسي الغاية ، تاقت إلى الآخرة .

---

(٥) سيرة عمر لابن الجوزى : ١١ - ١٢ .

* حدثنى جويرية بن أسماء قال: قال عمر : إن نفسى هذه تواقة لم تعط من الدنيا شيئا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه . قال سعيد : الجنة أفضل من الخلافة .

* حدثنى شعيب ، عن أبى صفوان ، عن محمد بن مروان بن أبان ابن عثمان ، عن محمد سمع مُزاحمًا يقول : قلت لعمر بن عبد العزيز : إنى رأيت فى أهلك خللا.

فقال : يا مزاحم : أما يكفيهم أعطيهم ما يصيبون من المقاسم مع المسلمين من فيئهم مع مال عمر . فقلت له : وأين يقع ذلك منهم ، مع ما يمونون ، ومع ضيافتهم وكسوتهم نساءهم؟ ، وأين يقع ذلك ؟ قد والله خشيت أن تصيبهم مخمصة . فقال لى عمر : إن لى نفسًا تواقة. لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسى إلى العلم، إلى العربية والشعر ، فأصبت منه حاجتى، وما كنت أريد ثم تاقت نفسى إلى السلطان ، فاستعملت على المدينة . ثم تاقت نفسى ، وأنا فى السلطان ، إلى اللبس والعيش والطيب ، فما علمت أن أحدًا من أهل بيتى ، ولا غيرهم ، كان فى مثل ما كنت فيه . ثم تاقت نفسى إلى الآخره والعمل بالعدل ، فأنا أرجو ما تاقت نفسى إليه من أمر آخرتى ، فلست بالذى أهلك آخرتى بدنياهم (٦) .

---

(٦) سيرة عمر لابن الجوزى : ٦٤ ـ ٦٥ .

القدر

يقول العلاقة ابن الجوزى :

وهذه رسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز فى الأول وجدت أكثرها كلماتها لم تضبطها النقلة على الصحة ، فانتقيت منها كلمات صالحة.

أخبرنا سليمان بن نفيع القرشى ، عن خلف أبى الفضل القرشى، عن كتاب عمر بن عبد العزيز إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر.

أما بعد :

فقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وسينقص العلم نقصا سريعًا ، ومنه قول عمر بن الخطاب وهو يعظ : إنه لا عذر لأحد عَبَدَ الله بعد البينة ، بضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا فى هدى تركه حسبه ضلالة . فقد تبينت الأمور ، وثبتت الحجة ، وانقطع العذر فمن رغب عن أنباء النبوة وما جاء به الكتاب ، فقطعت فى يده أسباب الهدى ، ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى . وبلغكم أنى أقول: إن الله قد علم ما العباد عاملون ، فأنكرتم ذلك ، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [٧] .

وقال: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [٨] وزعمتم فى قول الله ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [٩] أن المشيئة فى أى ذلك أحببتم من ضلال أو

---

(٧) الدخان : ١٥.
(٨) الأنعام : ٢٨.
(٩) الكهف : ٢٩.

هدى؟ والله يقول : ﴿ مَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ (١٠) فبمشيئته لهم ، شاءوا.

وقد حرصت الرسل على هدى الناس جميعا ، فما اهتدى إلا من هداه الله، وحرص إبليس على ضلالتهم جميعًا ، فما ضل منهم إلا من كان في علم الله ضالا.

وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى ، وأنكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله، وحجزتموها عن المعصية بغير قوة من الله. ومن زعم ذلك منكم ، فقد غلا فى القول ، لأنه لو كان شيء لم يسبق فى علم الله وقدره لكان لله فى ملكه شريك تنفذ مشيئته فى الخلق دون الله ، والله يقول : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (١١) .

وسميتم نفاذ الله فى الخلق حيفا ، وقد جاء الخبر أن الله عزَّ وجلَّ، خلق آدم فنثر ذريته بين يديه ، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون ، وكتب أهل النار وما هم عاملون (١٢) .

هكذا يكون خليفة المسلمين

يقول العلامة ابن كثير :

خرج ابن له « يعنى عمر بن عبد العزيز » وهو صغير يلعب مع

(١٠) التكوير : ٢٩. (١١) الحجرات: ٧.

(١٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى: ٦٧ـ٦٨.

الغلمان فشجه صبى منهم ، فاحتملوا الصبى الذى شج ابنه وجاءوا به إلى عمر ، فسمع الجلبة فخرج إليهم ، فإذا مُريئة تقول: إنه ابنى وإنه يتيم ، فقال لها عمر : هونى عليك.

ثم قال لها عمر : أله عطاء فى الديوان ؟ قالت: لا! قال: فاكتبوه فى الذرية .

فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شج ابنك ؟ فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية .

فقال: ويحك إنه يتيم وقد أفزعتموه .

* وقال مالك بن دينار : يقولون : مالك زاهد؟ ، أى زهد عندى؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاغرة فتركها جملة.

* قالوا : ولم يكن له سوى قميص واحد فكان إذا غسلوه جلس فى المنزل حتى ييبس .

* وقد وقف على راهب فقال له : ويحك عظنى.

فقال له : عليك بقول الشاعر :

تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال: وكان يعجبه ويكرره وعمل به حق العمل.

قالوا: ودخل على امرأته يومًا فسألها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشترى بها عنبًا ، فلم يجد عندها شيئًا ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين

وليس فى خزانتك ما تشترى به عنبا؟

قال: « هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدا فى نار جهنم ».

* قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فى رأسهن طين.

* قالوا : وبعث يوما علامة ليشوى له لحمة فجاءة بها سريعا مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ ، قال: فى المطبخ .

فقال : في مطبخ المسلمين ؟ ، قال : نعم .

فقال : كُلها فإنى لم أرزقها ، هى رزقك وسخنوا له الماء فى المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطبا (١٣) .

رحمة الله عليك يا نعم الإمام والخليفة لا ترضى بدرهم حطب ، حتى تقابل ربك وأنت نظيف اليدين من مال المسلمين

خاب وخسر من خرج من رحمة الله

سيسأل الكثير : كيف استطاع هذا الخليفة أن يصنع كل ذلك ؟

والإجابة ما ذكرناه فى أول الكتاب : « العقل » فعقل الأمير عمر ابن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان عقلاً راجحا ، أدرك به أن النجاة فى ترك هذه الفانية لأن الخلق ما خلقوا إلا للعبادة ، وأن العمل لابد له من جزاء ولنقرأ سويا هذه الخطبة العظيمة التى تخبرنا بما أكنه وأعلنه هذا الإمام.

---

(١٣) البداية والنهاية : ٩/٢٠٨ـ٢٠٩.

يقول العلامة أبى نعيم :

حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا سعدان بن نصر المخزومى ثنا عبد الله بن بكر بن حبيب ثنا رجل: أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس من خناصرة فقال:

أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وحرم الجنة التى عرضها السماوات والأرض ، ألا واعلموا أن الأمان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا بباق ، وقليلا بكثير ، وخوفا بأمان ، أولا تدرون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وبعد يخلفها بعدكم الباقون ، كذلكم حتى ترد إلى خير الوارثين (١٤) .

بعد هذه الخطبة علمنا رجاحة عقل هذا الإمام ولننظر أيضا فى أحد رسائله إلى عماله والتى سنضعها تحت عنوان .

(١٤) الحلية لأبى نعيم : ٥/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

إياك أن تفخر بطولك

يقول العلامة ابن الجوزى : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأنصارى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد :

أما بعد . . . !

فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله ـ عزّ وجلّ ـ من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله ـ عزّ وجلّ ـ نجاء أولياء الله ـ عزّ وجلّ ـ من سخطه ، وبها تحق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة . ولن يقبل ممن بقى إلا مثل ما رضى به عن من مضى ، ولمن بقى عبره فيمن مضى ، وسنة الله ـ عزّ وجلّ ـ فيهم واحدة .

بادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك . فقد رأيت الناس كيف يموتون ؟ وكيف يتفرقون ؟ ، ورأيت الموت كيف يعجل لتائب توبته ؟ ، وذا الأهل أهله ، وذا السلطان سلطانه، وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا ، ومرغبا فى الآخرة . فنعوذ بالله ـ عزّ وجلّ ـ من شر الموت وما بعده ، ونسأل الله تعالى خيره .

لا تطلبن شيئًا من عرض الدنيا ، بقول ولا فعل ، تخاف أن يضر

بآخرتك ، ويزرى بدينك ، ويمقتك عليه ربك .

واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوافيك أكلك من دنياك غير مزيد فيه بحول منك ولا قوه ، ولا منقوض منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف فى فقرك . واعتبر ما قسم الله - عزّ وجلَّ - لك من الإسلام ، وما زوى « قبض وجمع » عنك من نعمة دنياك ، فإن فى الإسلام خلفًا من الذهب والفضة ، والدنيا الفانية .

واعلم أنه لن يضر عبدًا صار إلى رضوان الله - عز وجل - وإلى الجنة ما أصابه فى الدنيا من فقر وبلاء . وأنه لن ينفع عبدًا صار إلى سخط الله - عزّ وجلَّ - وإلى النار ما أصاب فى الدنيا من نعمة ورخاء، ما يجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم فى الدنيا ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها فى دنياهم كأن سائر ذلك لم يكن . فمن كان راغبًا فى الجنة أو هاربًا من النار ، فالآن فى هذه الأيام الخالية ، والتوبة مقبولة ، والذنب مغفور قبل نفاد الأجل ، وانقضاء المدة ، وفراغ من الله - عزّ وجلَّ - للثقلين ، ليدينهم بأعمالهم فمن مواطن لا تقبل فيه الفدية ولا تنفع فيه الحيلة تبرز فيه الخفيات وتبطل فيه الشفاعات ، يَردهُ الناس جميعًا بأعمالهم ، وينصرفون منه أشتاتًا إلى منازلهم . فطوبى يومئذ لمن أطاع الله - عزّ وجلَّ - وويل يومئذ لمن عصى الله - عزّ وجلَّ - فإن ابتلاك الله بالغنى فاقتصد فى غناك ، وضع لله نفسك وأد لله - عزّ وجلَّ - فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد

الصالح : ﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (١٥) وإياك أن تفخر بطولك، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامتك على ربك ـ عزّ وجلّ ـ وتفضيله إياك على غير ممن لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطغاه الغنى ، وتعجل طيباته فى الدنيا فإنى أعظك بهذا ، وإنى لكثير الإسراف على نفسى ، غير محكم لكثير من امرئ ، ولو أن المرأ لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ، ويعمل فى الذى خلق له من عبادة ربه ـ عزّ وجلّ ـ إذن لتواكل كل الناس الخير، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإذن لاستحلت المحارم ، وقل الواعظون والساعون لله ـ عزّ وجلّ ـ بالنصيحة فى الأرض (١٦) .

---

(١٥) النمل : ٤٠ .

(١٦) سيره عمر بن عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : ٨٨ ـ ٩٠ .

أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

يقول العلامة السيوطى :

قال سعيد بن أبى عروبة : كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله .

وقال عطاء : كان عمر بن عبد العزيز يجمع فى كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال عبيد الله بن العيزار : خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام على منبر من طين فقال :

« أيها الناس ، أصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب حى لعرف له فى الموت ، والسلام عليكم » .

وقال وهيب بن الورد : اجتمع بنو مروان إلى باب عمر بن عبد العزيز ، فقالوا لابنه عبد الملك : قل لأبيك : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا وإن أباك قد حرمنا ما فى يديه ، فدخل على أبيه فأخبره .

فقال لهم : إن أبى يقول لكم : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام : ١٥] .

وقال أرطأة بن المنذر : قيل لعمر بن عبد العزيز : لو اتخذت حرسًا واحترزت فى طعامك وشرابك فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى أخاف شيئًا دون القيامة فلا تؤمن خوفى .

وقال القالى فى أماليه : حدثنا أبو بكر بن الأنبارى حدثنا أحمد بن عبيد قال : قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته :

أَنْهَ الفؤاد عن الصِّبا وعن انقياد للهوى
فلعمر ربك إن فى شيب المفارق والجلا
لك واعظا لو كنت لتـ ـعظ ذوى النهى
حتى متى لا ترعوى وإلى متى ؟ ، وإلى متى ؟
ما بعد أن سميت كهلا واستلبت اسم الفتى
بلى الشباب وأنت إن عمرت رهْنٌ للبلى
وكفى بذلك زاجرًا للمرئ من غى كفى (١٧)

*** ويقول العلامة ابن الجوزى :**

أخبرنى رجل من بنى ضبة قال : شهدت رجلا يقرأ عند عمر بن عبد العزيز ، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ (١٨) بكى عمر حتى اشتد بكاؤه ثم ازداد البكاء فلم يزل يبكى

(١٧) جميع ما سبق تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢٣٠ ـ ٢٣٥ .
(١٨) سورة الطور : ٢٧ .

حتى غشى عليه .

* حدثنى عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك ، قال : فبكى عمر بن عبد العزيز ، فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار ، لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء ؟! فلما تجلى عنهم العسر قالت له فاطمة : بأبى أنت يا أمير المؤمنين ، مم بكيت ؟ قال : ذكرت يا فاطمة ! منصرف القوم من بين يدى الله ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

* حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد ، عن سفيان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يوما ساكتا ، وأصحابه يتحدثون ، فقالوا له : مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ .

قال : كنت مفكرًا فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ؟! وفى أهل النار كيف يصطرخون فيها ؟! ثم بكى .

* حدثنا خالد بن صفوان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علىّ فقال : يا أبا أيوب ، هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذتهم وعيشهم . أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصابت الهوام فى أبدانهم مقيلا ؟ قال : ثم بكى حتى غشى عليه، ثم أفاق، فقال : انطلق بنا، فوالله ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

* حدثنا فياض بن محمد ، عن عطاء ، قال : كان عمر بن عبد

العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء ، يتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بيت أيديهم جنازة .

* قال محمد بن الحسين : قال حدثنى من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين ، وقرأ عنده رجل : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (١٨) فبكى عمر حتى غلبه البكاء ، وعلا نشيجه ، فقام من مجلسه ، فدخل بيته وتفرق الناس .

* حدثنا أبو مودود قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ (١٩) فبكى بكاء شديدًا حتى سمعه أهل الدار فجاءت فاطمة ، فجلست تبكى لبكائه ، وبكى أهل الدار لبكائهما . فجاء عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبه ! ما يبكيك ؟ قال : خير يا بنى ، وَدَّ أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه والله يا بنى ، لقد خشيت أن أهلك . والله ، يا بنى لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

* حدثنا الفضيل بن موسى ، عن مقاتل بن حبان ، قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (٢٠) وجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها يعنى من البكاء .

* قال عبد الأعلى بن عبد الله الغزى قال : رأيت عمر بن عبد

---

(١٨) الفرقان : ١٣ .

(١٩) يونس : ٦١ .

(٢٠) الصافات : ٢٤ .

العزيز خرج يوم جمعة فى ثبات رسمة ، ووراءه حبشى يمشى . فلما انتهى إلى الناس، رجع الحبشى ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين : قال : هكذا رحمكما الله . حتى صعد المنبر ، فخطب ، فقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ (٢١) فبكى وأبكى أهل المسجد ، حتى ارتج بالبكاء ، حتى رأيت حيطان المسجد تبكى معه .

* حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال : قرأ عمر بن عبد العزيز : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فبكى ، ثم قال ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ ما أرى المقابر إلا زيارة ، ولابد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار (٢٢) .

سهم المرأة

قال ميمون : دعانى عمر فقال : إنى أوصيك بوصية فاحفظها : إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم ، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن !

هذا الخبر جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وسيرة عمر بن عبد

(٢١) التكوير : ١ ـ ١٣ .

(٢٢) سير عمر بن عبد العزيز : ١٧٣ ـ ١٧٧ .

العزيز لابن الجوزى وحلية الأولياء لابن نعيم ، والبداية والنهاية لابن كثير.

الفقه الأكبر

جاء فى كتاب سيرة الخلفاء للسيوطى :

وفى الطيوريات أن جرير بن عثمان الرحبى دخل مع أبيه على عمر ابن عبد العزيز ، فسأله عمر عن حال ابنه ، ثم قال له : علمه الفقه الأكبر .

قال : وما الفقه الأكبر ؟

قال : القناعة وكف الأذى [٢٣] .

وبهذا الخبر نكتفى ولننتقل سويًا إلى الإفادة .

(٢٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢٣٤ .

الإفادة

إن هذا الفصل قد امتلأ بالمواعظ ، وأطايب الكلام ، ولو فندنا ما به من نوع لاحتجنا إلى مجلدات ولكنى أكتفى بأمرين أرى أن أغلب الأمة إلا من رحم ربى قد انغمس فى مخالفتهما ، وحتى نوضح فهما المرأة ، والقناعة وكف الأذى ، فقد أصبح أغلب الشباب إلا من رحم ربى ينساق وراء المرأة ، والقناعة قَلَّ ما نجدها فى هذا العالم المادى الذى امتلأ بالتنافس والتصارع على المادة ومغريات الحياة ، واسمحوا لى أن أشرح الأمرين .

*** الأمر الأول : حيلة شيطانية :**

سميت البحث وراء المرأة بالحلية الشيطانية لأن الشيطان يسول للإنسان الانغماس فى المعصية بالتزيين الحسن الذى يختبئ وراءه الافتراس فمن يقرأ معى قول عمر بن عبد العزيز « إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن » يعلم جيدًا أن الشيطان لن يدخل للمسلم قائلاً له انظر إلى جسدها أو تأمل مفاتنها ولكنه سيقول :

ـ هذه امرأة مسكينة فلتعطف عليها ولتؤانسها فى وحدتها .

أو يقول: إن الاختلاط يثمر عن تقدم للفتى والفتاة فى ميادين العلم.

ـ أو يقول : هذه امرأة ضعيفة ولا مانع أبدًا من مساعدتها .

ـ أو يقول : هذه صديقتك فى العمل ولكنها مجتهدة فلا بئس بالتعلم من خبرتها . . . وآه . . . ثم آه من الخبرة .

كل هذه أساليب للتحايل ويضعها المجتمع تحت مسميات « الحرية » « لا . . . للرجيعة » « لا . . . للتخلف » وكأن التخلف والرجيعة هما عدم الاختلاط ونسوا بل ويريدون أن يتناسوا أن المجتمع الأوروبى يبحث عن حَلٍّ لعمليات الاغتصاب اليومية ، ويبحث عن حَلٍّ للانهيار الداخلى والتفكك الأسرى أتدرون ما هو الحل لهم ؟

هو ما قاله العلامة عمر بن عبد العزيز « إياك أن تخلو بامرأه غير ذات محرم وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن » .

وسأضرب لكم مثلاً جميلاً : يقول الشيطان للإنسان : دعنا نصعد فوق قمة الجبل حتى نرى جمال المدينة ، ونرى عظمتها وتكون أول من صعد إلى القمة وعندما يصعد الإنسان يقذف به الشيطان من فوق القمة فيهوى صريعًا .

كذا الحال يقول الشيطان للإنسانُ يجب أن تتحلى بالمدنية وتشارك المرأة حتى نساير التقدم ونرقى بالحريات فإذا ما وصلنا إلى الحريات رأينا بأنفسنا التحلل والتفكك وضياع المجتمع .

وأختم هذا الأمر بما جاء فى كتاب رياض الصالحين للنووى .

قا ل اللـه تعـالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النـور : ٣٠] وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾

[الإسراء : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤٠] .

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا مُدرِكٌ ذلك لا محالة : العينات زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويُصَدِّقُ ذلك الفرج أو يكذبه** » متفق عليه .

* وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إياكم والجلوس فى الطرقات !** » قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدٌّ: نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ « **فإذا أبيتم إلا المجلس ، فأعطوا الطريق حقه** » قالوا : وما حَقُّ الطريق يا رسول الله ؟ قال : « **غَضُّ البصر ، وكَفُّ الأذى ، وردُّ السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** » متفق عليه .

* وعن جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأه ، فقال : « **اصرف بصرك** » رواه مسلم .

* وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ وعِندهُ ميمونةُ ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبى ﷺ : « **احتجبا منه** » فقلنا : يا رسول الله أليس هو أعمى : لا يبصرنا، ولا يعرفنا ؟ فقال النبى ﷺ : « **أفعميا وأن أنتما ألستما**

تبصرانه؟ » رواه أبو داود ، والترمذى (٢٤) .

الأمر الثانى : القناعة :

جاء أن الفقه الأكبر هو القناعة ، والفقه معناه الفهم فهم الحقيقة كانت القناعة رداءه وتحتل المكان الأكبر فى قلبه .

والقناعة كنز ولكنه لا يستثمر إلا عند من أدرك أنه يقنع لأن هذه الدنيا أصل فيها الزهد فهى ليست بخير كامل ، إنما هى شر واقع لمن أمسك بذيلها . ولنقرأ سويًا ما قاله العلامة ابن الجوزى :

قال جابر بن عبد الله الأنصارى : خرجت مع على ـ كرم الله وجهه ـ إلى خارج المدينة ففكرت فى أحوال الدنيا وغرورها وفتنتها لنا. فقال : يا جابر إن الدنيا أحقر من أن يفتن بها لبيب « عاقل » يا جابر إن لذاتها فى ستة أشياء :

مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومنكوح، ومشموم ، ومسموع .

فأما المأكول : فألين ما يؤكل العسل ، وهو رجيع ذبابة . وأما المشروب : فألذ ما يشرب الماء ، وقد تساوى فيه جميع الحيوانات .

وأما الملبوس : فأفخر ما يلبس الحرير ، ومخرجه من دودة . وأما المنكوح : فمبال فى مبال .

وأما المشموم : فأطيبه المسك ، وهو دم دابَّةٍ .

وأما المسموع : فألذ ما يسمع الوتر ، وهو إثم كله (٢٥) .

كلام غاية فى العظمة كشف قناع الدنيا وجعلنا نراها على حقيقتها فأين العقول التى تزهد فيها وترتدى لباس القناعة ؟ عسى أن يوسلها إلى لين القلب وإلى الطريق القويم .

وأختم هذا الكتاب بحقيقة عظيمة يبينها لنا من نبحث فى مواعظه العلامة عمر بن عبد العزيز. وحتى لا أطيل فلنختم بهذا القول الجليل.

قال المرزبانى : وأخبرنا ابن دريد قال : تُروى لعمر بن عبد العزيز هذه الأبيات :

ومن الناس من يعيش شقيًا　　　خيفة الليل غافل اليقظهْ

فإذا كان ذا حياء ودين　　　راقب الله واتقى الحفظهْ

إنما الناسُ : راحلٌ ومقيمٌ　　　فالذى سار للمقيم عِظَهْ

---

(٢٥) الموعظ والمجالى لابن الجوزى : ٣٤ ، ٣٥ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول	١١
العقل وتعريف الإمام	١٣
تعريف الإمام عند السيوطى	١٦
عندما يرعى الذئب الغنم	١٩
تعريف الإمام عند ابن كثير	٢٥
أعجب ممن عرف الله فعصاه	٣٠
أنا ميت وعزّ من لا يموت	٣٢
تعريفه عند النبهانى	٣٦
تعريفه عند ابن الجوزى	٣٧
اتق الله ولا تقل إلا حقا	٤٠
عدل السلطان مقدم على شهواته	٤٩
تجيب وتبسم	٥١
قوام الدين العدل والإحسان	٥٤
تعريفه عن العلامة ابن نعيم	٥٦
البشارة بخلافته	٥٧
هذا هو عمر	٥٨
الإفادة	٦٠
الفصل الثانى	٦٥
تعطير الأنام من كلام الإمام	٦٧
رعد وبرق	٦٧
تربية الأولاد	٦٩
تفكير وكلام الحاكم العادل	٧١
أشرف المجالس	٧٤
تاقت نفسى إلى الآخرة	٧٥
القدر	٧٧
هكذا يكون خليفة المسلمين	٧٨
خاب وخسر من خرج من رحمة الله	٨٠
إياك أن تفخر بطولك	٨٢
أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم	٨٥
سهم المرأة	٨٩
الفقة الأكبر	٩٠
الإفادة	٩١
الفهرس	٩٦